

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٢)	صفر المظفر ١٤٣١ هـ
العدد الثاني	فبراير ٢٠١٠ م

المشـرف العام   **رئيس التحريـر**

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد   **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ١ / ١٨ جی، ريوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١   فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

من مقتضيات الدعوة إلى الله

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الحديث عن الدعوة ذو شجون، والمسلمون – الأمة الوسط – من أهم يمتازون به عن غيرهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقبل هذا وذاك أنهم أخرجوا للناس، "فالناس" كلهم والبشرية جمعاء شغلهم الشاغل، يكنون لها الخير، ويسهرون لأجل صلاحها، ويسعون لتحقيق فلاحها، يتألمون مما يؤلمها، ويفرحون بما يسرها، وهم حينما يسعون لأجل راحتها وسعادتها لا تكون أنظارهم قاصرة على الجانب المادي والجسدي فقط، بل الجانب المعنوي والروحي أيضا يكون موضع اهتمامهم ومحل عنايتهم، ولذلك حينما يرون أفراد هذه البشرية تبخس حقوق خالقها أو تصرفها إلى غيره أو تنحرف عن الصراط السوي الذي رسمه لها في الدين والدنيا، يسارعون إلى إنقاذها من هذه المهالك، وردها إلى ذلك الطريق القويم الذي فيه سعادة دنياهم وأخراهم.

نعم ! المسؤوليات على عواتق خير الأمة كبيرة، والمتطلبات كثيرة، والمقتضيات متعددة، وإن كان القائمون بأداء هذه المسؤوليات وتوفير هذه المتطلبات والعمل بهذه المقتضيات أصبحوا أقل من القليل، وجهودهم متواضعة إلى أمد بعيد. وإن كان عدد الأفراد والمنظمات العاملة في هذا الميدان يبدو – بادئ ذي بدء – غير قليل، ومساعيها ومعطياتها ومنجزاتها ترى وتشاهد أنها تغطي مساحات واسعة وتلبي احتياجات شاملة، ولكن نظرة عامة في العدد الهائل من أفراد المدعووين من مختلف الأجناس والأديان والأوطان والألوان، ومن مختلف فئات الجنس والعمر من الرجال والنساء والأطفال والشبان، واحتياجاتهم

المتنوعة، ومشاكلهم اللامتناهية، والأخطار المحدقة بهم بلا حدود وقيود، والحبائل المنتصبة لهم في كل طريق، إن نظرة عامة في ما ذكر لتكشف عن الفراغ الهائل في هذا السبيل، وعن التوازن المفقود بين المطلوب والموجود.

وهناك أمر آخر ينبغي التنبه له، ألا وهو أن الدعوة إلى الله ليست منحصرة في الدروس والخطب والمحاضرات والندوات والمؤتمرات، إننا نرى أن عددا غير قليل من العاملين في الدعوة والإصلاح تكون جهودهم مقتصرة على المساجد والمصلين وعلى الخطب والدروس. نحن لا ننكر أهمية هذه الأعمال وحاجتها، ولا نقلل من قيمتها وجدواها، بل نعترف ونؤكد أن هذه الجهود مشكورة، وهؤلاء المخاطبون يستحقون العناية والتوجيه، ولكن قصر الجهود عليهم وصرف النظر عن الآخرين يحتاج منا إلى وقفة بل وقفات، لأننا بهذا الطريق حجرنا الواسع وجعلنا نسبة محدودة جدا من الناس محط أنظارنا، في حين أغضينا الطرف عن الكثرة الكاثرة، وهي التي لا تحضر المساجد، إذا كانت من المسلمين، وأما غير المسلمين فلاحظ لهم من هذه الدعوة في الغالب لدى هؤلاء.

لا شك أن الظروف الحالية تقتضي الحذر والاحتياط، ولكن بسلوك مسالك الحكمة وبالطرق الكثيرة الغير المباشرة – إذا اقتضت الأحوال ذلك – نستطيع الوصول إلى هذه البشرية التائهة وإلى قلوبها، رغم كل الحواجز والمعوقات، ومن أهم هذه الطرق (أ) القدوة الحسنة و(ب) الأعمال الاجتماعية التي تهم جميع البشر.

فمحاسن الإسلام الكثيرة تجذب قلوب بني آدم وتشد انتباههم إلى هذا الدين الإلهي، ونحن المعتنقون لهذا الدين، والدعاة إلى الله بوجه خاص إذا قدمنا النماذج الحية لتعاليم شريعتنا، وعرضنا الصورة الحقيقة العملية للهداية الربانية أمام الآخرين، فذلك يغني عن كثير من الخطب والمحاضرات، ويفند كثيرا من المزاعم

والافتراء ات. ولا يخفى على الملمين بالتاريخ الإسلامي ما كان للقدوة الحسنة للمسلمين من دور ملموس في جذب أفواج من الناس إلى هذا الدين القويم.

أما الأعمال الاجتماعية العامة فنقصد منها تلك التي لا تخص أهل دين دون آخر، بل هي حاجة بني آدم مؤمنهم وكافرهم، أبيضهم وأسودهم، عالمهم وأميهم، .. مثل الاقتصاد والإسكان والصحة والنظافة والتعليم، إلى غير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر. فالإحسان إلى الناس في هذه الأمور والتعاون معهم في حل هذه المسائل الإنسانية .. بكلمة طيبة، بشفاعة حسنة، ببذل بعض الوقت أو الجهد، بالدلالة على خير الخ ، هذه الأعمال الإنسانية هي إسلامية وفي الوقت نفسه دعوية إذا أحسن استخدامها. فديننا يرشدك أيها المسلم أنك:

– تعدل بين الاثنين صدقة.

–وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة.

– والكلمة الطيبة صدقة.

– وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة .

– وتميط الأذى عن الطريق صدقة. (من حديث متفق عليه)

وهذا سيد الرسل وقدوة الدعاة صلوات الله وسلامه عليه، من أبرز صفاته أنه كان "يصل الرحم، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق .." (صحيح البخاري)

و " .. كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته ". (سنن النسائي)

وهو القائل: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله .. وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر".(متفق عليه)

فيا أمة نبي الرحمة ويا أتباع دين الإنسانية !

لماذا لا نقلق ونحن نرى الماء في الأماكن العامة والخاصة يتدفق بلا حاجة، في حين يشكو العالم من قلة متزايدة لمياه الشرب وغيره، ويحذر المحذرون من مغبة الإسراف فيه.

ولماذا نرى كل يوم القاذورات والكناسات في الزقاق والطرق من حولنا، ثم نمر مرور الكرام، كأننا ما رأينا شيئا.

ولماذا نرى الشباب والشيبة من حولنا يتهافتون على مضغ منتجاب التبغ المختلفة بأموالهم التي ما أحوجهم إليها لحاجاتهم الضرورية، مع العلم بأن الخبراء يؤكدون على أخطار هذه المنتجات على الصحة، وأنها تؤدي إلى الهلاك وإلى السرطان وإلى أمراض فتاكة أخرى، نرى الإقبال المتزايد كل يوم على هذه المهلكات، ثم لا نتغير ولا نقلق ولا نشعر بمسؤوليتنا تجاه هذا الأمر.

لماذا نجد أطفال مجتمعاتنا يتجولون في الشوارع والطرق يسببون إزعاج المارة والمركبات، ولا يتجهون إلى روضات الأطفال والمدارس التي فتحت لأجل أمثال هؤلاء. نجد هؤلاء الأطفال فنلقي اللائمة عليهم وعلى أولياء أمورهم، إما بالقلب وإما باللسان، وكفى.

ولماذا نجد في المناسبات والأفراح وغيرها أمورا منكرة شرعا وعقلا، ثم لا نتحرك لتغييرها بما نقدر من قول أو فعل، ومعظم الناس – رغم عدم ارتياحهم بهذه الأمور – لا يتشجعون على تركها والإنكار عليها، وعند ما يرفع العلماء والدعاة أصواتهم ضدها يسارع الناس إلى استحابة هذا النداء. أما عند سكوت هؤلاء وأولئك فلا يزداد الطين إلا بلة.

إذا كان القائمون على الدعوة والإصلاح يغمضون أعينهم عن هذه الأمور ويعدونها خارجة عن دائرة اهتمامهم، فمن نتوقع منه أنه يقوم بها ويسد هذا الفراغ ؟ إن الإسلام الذي ندين به وندعو إليه لا يرضى بهذا الموقف، ولا يحبذ حصر نطاق

الدعوة فيما حصرناه فيه، بل يريد أن يرى كل مسلم، فضلا عن الداعية، أن يعيش "للناس" ينفعهم بما يقدر من قليل وكثير، من قول وعمل، من ابتسامة وتشجيع، ف "خير الناس أنفعهم للناس" (صحيح الجامع الصغير: ٣٢٨٩)

وكلنا نعلم أن هناك أصواتا ترتفع بين حين وآخر من هنا وهناك تتهم المسلمين بأنهم يحبون الانعزال وعدم المخالطة، وتهدف هذه الأصوات إلى رمي المسلمين بأنهم يبطنون الكره والعداء لغيرهم من بني البشر، ويكنون لهم البغض والشر. ويستنتج من ذلك – ظلما وبغيا – أن الدين الإسلامي هو الذي يزرع في أتباعه هذه البذرة ويسقيها وينميها، إذن إن هذا الدين وهؤلاء الأتباع يستحقون توجيه كل سهام النقد والطعن إليهم.

ونحن لا ننكر كون هذا الاتهام مبعثه الجهل بحقيقة هذا الدين وتعاليمه أو مبعثه الحقد الدفين في القلوب، ولكن تصرفات كثير من حملة هذا الدين كأنها تؤيد هذا الرأي، وتصدق هذا الاتهام، وتقدم نماذج تطبيقية له، وهكذا يؤتي الإسلام من قبل المسلمين، وهم لا يشعرون بذلك.

إن الخير والفلاح والسعادة التي في ديننا وفيقرآننا وفي شريعتنا وفي كتبنا إذا لم نخرجها للناس ولم نوضح الفارق عمليا بين هذا الدين وغيره من الأديان والنظريات، فإننا لا نستطيع تكميم أفواه المغرضين والمتربصين بنا الدوائر بخطبنا ومحاضراتنا وبكتاباتنا وبحوثنا وبندواتنا ومؤتمراتنا.

فما أحوجنا إلى التحرك، إلى السعي، إلى الجهد، إلى العمل !

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾.



المجتمع الإسلامي

الذكاء .. هبة من الله

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية، الرياض

الذكاء وسرعة البديهة، خصلتان مقترنتان ببعضهما، فإذا جاء معها حلم وأناة، ازداد المرء بذلك مكانة في المجتمع، وقبولا عند الناس، وسيادة في عشيرته، وعند قومه.

وهذه الخصال لا تكتسب بالتدريب، ولا تشترى بالمال، ولكنها مواهب يخص بها الله من يشاء من عباده، وهي جمال يتحلى المرء بها، ومنقبة يُذكر بها في بيئته، وقد تسوّده في عشيرته وفي مجتمعه، لأنها خصال تتباين مع الجهل، وجواهر يتحلى بها جيد الإنسان، وتعتزّ بها الأمة، ويخلّد التاريخ أصحابها وسيرهم ونماذج من مواقفهم، إذا لم يستعملها صاحبها في موطنها وقت الحاجة، بفحش أو ممارات، وإلا انقلبت إلى الضد، وبالضد يبرز الضد، أو كما جاء في شطر بيت لأحد الشعراء: [وبضدّها تتميز الأشياء].

وتبرز مكانة الذكاء، وسرعة البديهة، وغيرها من الخصال التي تحقق نتائج كثيرة في المجتمع، وهي لا تتوفر إلا في رجال قلائل في كل بيئة، بحيث ترفع من مكانة من يتحلى بها، بل يتمنى صاحب الجاه والمكانة، أن تكون معه عند القدرة، ويخسر مالا كثيرا، ليمسك أحاسيسه، أو تكون عنده القدرة ليرد في الوقت المناسب، على بعض المواقف التي تمرّ عليه، مستهينا بالخسارة الكثيرة، نظير موقف يرفع الرأس، ويشار إلى صاحبه بالبنان، مع تكرار الذكر الحسن، وما يوصف به حاضرا وغائبا، كما قيل:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن روى

وهذه من بعض سمات البشر، بحبّ الظهور، والبروز في المناسبات، لكن: "ما كل ما يتمنى المرء يدركه". بل إن شيئا من هذه الخصال، قد تجني على صاحبها: حسدا أو غيره، أو طموحا في غير موضعه، إذا نقص العامل الإيماني، والقناعة من القلب، فمع هذا لا بد من محاربة الهواجس والأعمال عن المكائد، والأعمال الرديئة.

وإذا أردنا أن نضرب نماذج من الذكاء، وسرعة البديهة: سلبا يضرّ بصاحبه، وإيجابا

ترفع من مكانته وتحقق منافع من وراء ذلك:

فهذا في جانب السلب: أبو العلاء وفلسفة غلبه غلام، عند ما حادثه في ادعاءاته بمثل هذا القول:

وإني وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال الغلام: الأوائل جعلت حروف الهجاء ٢٨ حرفا، فزدها واحدا، فأفحم أبو العلاء، وتأثر بذلك حتى مات.

والمتنبي لما اعترضه خصومه، لينتقموا منه، أراد الهروب منهم، فقالوا له: كيف تهرب، وأنت القائل:

والخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال المتنبي للقائل: قتلتني، وكرّ راجعا على القوم، فأحاطوا به وقتلوه.

أما الجانب الإيجابي، فإنها كثيرة في سِيَرِ المسلمين، ويهتمّون برصدها فيتراجمهم، فمثلا:

هذا عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي فتح الله على يديه مصر، وشارك في فتح مدن الشام، قال المؤرخون بأنه دارت محاورات ومراسلات مع الروم، فطلب كبيرهم من القائد المسلم أن يبعث رجلا يتفاهم معه، فتنكّر عمرو وذهب بنفسه، قائلا: إن القائد عمرو بعثني إليك، فتناقشا ودار حديث أدرك الرومي مكانة ودهاء من يتخاطب معه، فدبّر مكيدة لقتله، عندما أوعز للحرّاس بقتله وإخفاء جثته، وقال لعمرو عند ما همّ بالخروج، جائزتك التي تليق بمكانتك عند الباب، يحملها لك الحرّاس، وكان زعيمهم هذا يطلق عليه "الأرطبون".

وفي طريق عمرو إلى الخروج، صادفه رجل منهم معجب بعمرو، ورمز إليه بما فهم عن المكيدة، وأن هذا " الزعيم " شكّ فيمن يخاطب بأنه عمرو، أو من دهاة العرب الذين يدبّرون الأمور، فقال لعمرو: لقد أحسنت الدخول فأحسن الخروج، ففطن لما يراد به، ورجع إلى ذلك الزعيم شاكرا له ما أمر بصلة، وطالبا منه أن يأتيه بعشرة من أصحابه من ذوي الحنكة والدهاء، ليتفاهم معهم.

فطمع هذا " الأرطبون " في استئصال هؤلاء العشرة، ليضعف بذلك الجيش الغازي لبلاده، فأوعز لحاجبه بعدم تنفيذ ما أمر به، وتخلية سبيله حتى يرجع بأصحابه .. لكن

عمروا لم يعد إليه بعد ما نجا من مكيدته، بل هاجمهم، وانتصر عليهم، وفتح الله على يديه ..ولذا جاء في المثل العربي: تغلّب " أرطبون " العرب على " أرطبون الروم " والأرطبون عندهم تعني الداهية وصاحب الحيل والمكر.

ومن دهاة العرب وأذكيائهم إياس من معاوية " القاضي "، الذي قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل، وقال الزركلي في الأعلام: أحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه وزكنه، يقال: أزكن من إياس، والزكن حسن الفراسة، قيل له ما فيك عيب إلا أنك معجب بنفسك؟ قال: أيعجبكم ما أقول؟ قالوا: نعم قال: فأنا أحق أن أعجب به، ودخل مدينة واسط، فقال لأهلها: من أول يوم عرفت خياركم من شراركم؟ قالوا: كيف؟قال: معنا قوم خيار ألفوا فيكم قوما، وقوم شرار ألفوا قوما، فعرفت قومكم من هذا العمل، الخيار مع الخيار، والأشرار مع الأشرار.

وكان يتعلّم في صغره عند راهب في صومعته، فقال الراهب للأطفال: كيف يقول نبيكم إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون، مع كثرة أكلهم وشربهم، فسكتوا ولم يجيبوا على هذه الشبهة، فاستأذن إياس وهو أصغرهم بالجواب، قائلا للراهب: كم تأكل في اليوم وكم تشرب؟ فذكر له، فقال: هل كل ذلك يخرج منك؟ قال: لا ولكن بعضه الضار بالجسم، قال: فكذلك أهل الجنة، طعامهم وشرابهم لا ضرر فيه، والزائد يخرج على هيئة عرق وجشاء، كريح المسك. فقال الراهب: أخرجوه من مدرستنا، فإنه شيطان من شياطين العرب .. وكان يمشي يوما مع نفر من أصحابه، وفي منعطف الطريق، خرج عليهم فجأة ثلاث نساء فجفلن، فقال لأصحابه فورا: واحدة مرضع، والأخرى حامل، والثالثة بكر، فقالوا: كيف عرفت؟ قال: لما رأينا فجأة فزعن، فوضعت كل واحدة،يدها على أعز شيء يهمها، فالمرضع يدها على ثدييها، والحامل على البطن، والبكر وضعتها على أسفل البطن، فلما سألوا، جاء هم الخبر كما ذكر لهم إياس.

والشاعر أبو تمام وهو من أصل رومي، ووالده خبّاز في ديار الشام، كان مشهورا بالذكاء، ويعتبر مع جودة شعره ممن جدّد في الشعر العربي، واهتم بدلالات اللغة، فقيل له: ما لك تقول ما لا يفهم؟ فأجاب قائلا: ما لكم لا تفهمون ما أقول؟ وقد وصفه الكاتبون عنه: بأنه ذكي الطبع، حاضر البديهة، قوي الذاكرة، قيل إنه يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة، غير القصائد والمقطوعات، وكدليل على سرعة بديهته وذكائه، وسرعة خاطره، أنه قد مدح الخليفة العباسي المعتصم، في قصيدته السينية، ولما وصل إلى هذا البيت:

إقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الكندي الفيلسوف وكان حاضرا، بقصد الإنقاص من قدر أبي تمام: الخليفة فوق من وصفت، وما زدت على أن شبّهته بأجلاف العرب، فأطرق أبو تمام، ثم قال على البديهة:

لاتنكروا ضربي له من دونه   مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلا من المشكاة والنبراس

ولما كانت العادة أن تؤخذ القصيدة من الشاعر، بعد إلقائها، وكانت مطوية في يده اليسرى أثناء الإلقاء، لم يجدوا هذين البيتين فيها.

فعجبوا من ذكائه، وسرعة بديهيته، وهما أجود ما في القصيدة، فقال الفيلسوف الكندي، لأمير المؤمنين المعتصم، مهما طلب فأعطه، فإن فكره يأكل جسمه، كما يأكل السيف المهند غمده، ولا يعيش كثيرا.

ومما يلاحظ، في سير ذوي الذكاء الحادّ، أن كثيرا منهم، لا يعمّر طويلا، ويتفرّسون ذلك في الآخرين، كما جاء عن أبي العلاء المعرّي، وما قال عن ذلك الغلام الذكي، وعن المتنبي وأبي تمام، وما قيل عنهما، وهل صحيح أن الذكاء الحاد، والنباهة القوية، لها دور في ذلك، هذا ما نأمل من ذوي الاختصاص، طبيا ونفسيا الإجابة عليه؟! إذ الوقائع في السير، تثبت شيئا في ذلك.

والأذكياء وأصحاب الفراسة، التي قلما تخطيء، في تاريخنا العربي قديما وحديثا كثيرون: في السياسة وإدارة الملك، وفي العلم والأدب، وفي سائر الفنون، ونأمل من الشباب أن تبرز فيهم هذه الخصال، بعد أن أتيحت لهم الفرص العديدة، في شتى الميادين، وحرص عليهم ولاة الأمر، حتى ينمو ذكاء هم الفطري، لاستعماله فيما يحقق المكانة المرموقة، بين الأمم، علما واختراعا وتجديدا مع سعة الأفق والمحافظة والثبات على هويتهم الدينية والأخلاقية، وليس ذلك ببعيد على شباب متحمس، هيئت لهم الإمكانات. ويجب أن يحرص الأذكياء، على التروّي، واستعمال ذكائهم فيما ينفع حتى لا يقعوا في قول الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وقد ألف ابن الجوزي كتابا في الأذكياء، كما ألف في ضدهم الحمقاء والمغفلين، ولله الحكمة البالغة.



تفنيد المزاعم

سَقَطَاتُ هَشِيمِ المُحتَظَر

(٦)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

٧ – الجذور الفكرية للشيخ عداب وكتابه:

لقدسبق أن ذكرت عن الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله أنه قال: من صنف فقد جعل عقله في طبق يعرضه على الناس. (١)

ويلاحظ القارىء الكريم لكتاب الشيخ عداب الحمش أنه في كثير من الأحيان يخرج من توازنه ويصاب بالانفعال والتشنج، والغضب والشطط عند ذكر بعض الكتب لبعض الأشخاص بينما مؤاخذات الشيخ على تلك الكتب موجودة في كتب أخرى لمؤلفين آخرين فيثني عليهم الشيخ وعلى كتابهم فما السر في هذا كله؟ هل هذه مزاجية من الشيخ؟ أو حساسية مفرطة ضد بعض الأشخاص أو بعض الأفكار فلا يطيق ذكرهم إلا بكثير من الانفعال والغضب، هذا يستلزم منا أن ندرس ما نستطيع معرفته من الجذور الفكرية للشيخ عداب من خلال كتابه هذا، وأهم ما لاحظنا منها:

أ – حبه المفرط للقائلين بوحدة الوجود

ومن أمثلة ذلك أن الشيخ عداب في المبحث الثالث من كتابه (المصنفات التي تنكر ظهور المهدي المنتظر، المطلب الأول: المصنفات التي تنكر ظهور المهدي المنتظر عند أهل السنة) ذكر كتب بعض المؤلفين المحدثين في الثقافة العامة ومن بينها "المهدي والمهدوية للدكتور أحمد أمين" وكتاب "المهدية في الإسلام" للأستاذ سعد محمد حسن، وكتاب "المهدي المنتظر ومن ينتظرونه" للأستاذ عبد الكريم الخطيب. وهذه الكتب الثلاثة لا تختلف في

(١) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٤٨.

أفكارها الأساسية في إنكار أحاديث المهدي بل وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، والشيخ عداب يثني على الكتابين الأولين ثناء عاطرا، بل لم يفته حتى الثناء على وجود الفهارس والمقدمة والخاتمة، ولكنه يصب جام غضبه على الكتاب الثالث فيستنكر ما جاء فيه من إنكار أحاديث المهدي والمسيح والدجال (ص ١٨٣) فيقول:

" إن من يقرأ مقدمة هذا الكتاب وخاتمته لا يخالجه أدنى شك في حرقة المؤلف على دين الله تعالى، وغيرته على إخوانه المسلمين، لكنه يجد بين أقواله تناقضا لا يليق، فبينما يرى حكايات المهدي والدجال والمسيح مستولدات عقول مريضة ومعتقدات فاسدة (ص ١١٢) من غير أن يقيم أي دليل واضح على ذلك. إذا به يدعو علماء المسلمين إلى نقد هذه الروايات وإعطاء رأي صريح فيها. وهذا يعني أن الرجل غير قادر على تمييز هذه الروايات فكيف تجرأ على تسفيه علماء كبار وفي شتى الأعصار يذهبون إلى القول بعقيدة المهدي من دون معرفة وقبل حصول ما دعا إليه علماء المسلمين". (ص ١٨٣ – ١٨٤ من كتاب العداب)

لعل القاريء الكريم يستغرب هذا التعليق من الشيخ عداب، ويبدو له أن الشيخ من أشد الناس غيرة على إثبات مسألة المهدي والمسيح والدجال، والإنكار على من أنكر ذلك، مع أن الأفكار التي قدمها صاحب هذا الكتاب لا تختلف كثيرا عما ذهب إليه صاحبا الكتابين الأولين، بل ما ذهب إليه الشيخ عداب نفسه ومن أجله ألف هذا الكتاب الضخم. (١) فلماذا كل هذا الغضب والانفعال أو "التشنج" الذي يستنكره الشيخ عداب في كثير من المؤلفين، ولكن سرعان ما يكتشف القاريء أن سبب هذه الغضبة العدابية الانفعالية هو أن الرجل – أعني الأستاذ عبد الكريم الخطيب – قد تجرأ على الكلام في التصوف والصوفية، والشيخ عداب لا يطيق ذلك ولذلك قال الشيخ عداب بعد كلامه المذكور أعلاه مباشرة:

" والرجل قد ملأ كتابه من البضاعة الرائجة في هذه الأيام، شتم التصوف والصوفية، وما وراء ذلك فليس في الكتاب ما يفيدنا في مسألة المهدي المنتظر، أقول: إن عجبي لا يكاد ينقطع من جرأة بعض الكتاب في نفي قضايا دينية أو إثباتها لمجرد الاستبعاد العقلي أو التشابه بين بعض مظاهرها مع الديانات الأخرى ". (انظر كلام

العداب في ص ١٨٤ من كتابه)

هنيئا للشيخ عداب هذا التظاهر بالمظهر العلمي. ولكنا قد اكتشفنا سبب سبب غضبته العارضة على هذا المؤلف دون من قبله، على الرغم من اتفاقهم في آرائهم وعلى الرغم من اتفاقهم جميعا مع رأي الشيخ عداب نفسه بتصريحه بنفسه وفي تلك الصفحة نفسها.

مثال آخر:

مثال آخر من هذا القبيل يتجلى في موقف الشيخ عداب عن تحقيق كتاب "البرهان في علامات مهدي آخر الزمان" للشيخ على بن حسام المشهور بالمتقي الهندي (صاحب كنز العمال ت ٩٧٥ هـ) وقد حققه الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين من الكويت، ونال به درجة الدكتوراه – فيما أظن – من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وكتاب"البرهان في علامات مهدي آخر الزمان" هذا يكاد يكون ترتيبا لكتاب "العرف الوردي" للسيوطي، ونحوه كتاب معاصر له وهو "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر" للفقيه أحمد بن حجر الهيثمي المكي (ت ٩٧٤ هـ) وذكر كتابا ثالثا للسيوطي وهو "تلخيص البيان في علامة مهدي آخر الزمان" وهو مختصر من كتاب العرف الوردي للسيوطي.

وكتاب " البرهان " هذا ترتيب لكتاب "العرف الوردي" كما ذكرت، وبين محققه ما يمكن الاعتماد عليه من الأحاديث المذكورة في الكتاب، وأوضح أن أكثرها ضعاف وغير صالحة للاعتماد، الشيخ عداب لما ذكر الكتب الثلاثة السابقة وقد مر بسلام دون أن ينطق بكلمة واحدة في نقدها أو الاعتراض عليها، إلا أنه انفجر غضبا لما ذكر، تحقيق كتاب البرهان هذا حتى زعم أن "أحكام المحقق الفاضل لا يجوز الاحتجاج بها على باقة بقل" (ص ٧٠ من كتاب العداب) ولا أدري إذا كانت أحكام الشيخ عداب تساوي وزنها ذهبا في نظره؟ وطبعا هذا إذا كان لها وزن في ميزان العلم، واستغربت من الشيخ عداب هذا أو الحكم الجائر على هذه الرسالة العلمية المجازة من قبل جامعة معروفة، لأن هذا التحقيق العلمي إن لم يزد

الكتاب جمالا فإنه لا يزيده سوءا.

وحاول الشيخ عداب أن يظهر بمظهر المتماسك على أعصابه في هذا الفصل، فلم يوجه إليه أي انتقاد علمي واضح سوى أنه – أعني محقق كتاب البرهان – أثنى على رسالة عبد العليم البستوى، وأنه حريص على إيجاد أي مسوغ للحكم بالصحة على الحديث، حتى ولو كان هذا تصحيح الحاكم النيسابوري، أو تصحيح الشيخ الألباني أو تصحيح الشيخ عبد العليم البستوي الخ"، واستنتج من هذا أنه إقرار من الشيخ جاسم بأنه ليس من فرسان هذا العلم وأنه مقلد حتى لزميله البستوي. (ص ٦٩)

وما عده الشيخ عداب عيبا ليس هو بعيب في الحقيقة، إذ ليس من مستلزمات التحقيق العلمي أن يكون الإنسان منفردا في كل رأي، لأن ذلك أمر مستحيل ومخالف للواقع والحقيقة، فإن كان الشيخ يرى مثل هذا عيبا أو تقليدا لغيره من المتقدمين أو المعاصرين فهذا من نزوات الاستعلاء العلمي التي تطفح بها كتابات الشيخ عداب، ومع ذلك فهو مقلد لغيره من أمثال أحمد أمين، وسعد محمد حسن وغيرهما من الكتاب المعاصرين، وإن الشيخ تبنى تماما إنكار المستشرق جولدزهير اليهودي الذي رأى أن فكرة المهدي هي نتيجة لظلم الحكام على شعوبهم التي وجدت في هذه الفكرة تنفيسا لزفراتها، وقد ردد الشيخ هذه الفكرة في أكثر من موضع من كتابه.

وكذلك الاستفادة من آراء وتحقيقات المعاصرين ليس عيبا في أي عمل، فكل عمل سابق كان عملا معاصرا في يوم ما. وإن كانت الاستفادة من كتابات المتأخرين عيبا فلماذا يصرف الشيخ وقته وجهده في مثل هذه الكتابات، ويتسبب في ضياع أموال الناشرين والمشترين وأوقاتهم.

ولكن ليس هذا سبب غضب الشيخ عداب من هذا العمل، السبب يكمن في شيء آخر أفصح عنه الشيخ بعد نحو مائتي صفحة من هذا الموضع، وهو أن الشيخ جاسم إلياسين كان وجه في كتابه بعض الانتقادات لبعض الأفكار الصوفية كالعلاقة بين التشيع والتصوف،

والتفرقة بين الشريعة والحقيقة، وعلم الظاهر وعلم الباطن، وغير ذلك، فلم يستسغه الشيخ عداب فخصص فصلا خاصا للرد عليه، وعلى كاتب آخر مصري انتقد أيضا بعض مبتدعات الفرق الصوفية. (ينظر كتاب العداب، المبحث الخامس المهدي المنتظر عند الصوفية، ص: ٢٣٩ – ٢٤٦)

وفي صدد دفاعه عن أباطيل التصوف والصوفية توصل الشيخ إلى قول ما لا يرضاه عامة الصوفية، فقال بالحرف الواحد:

"إن ابن عربي لا يمثل التصوف الإسلامي كله، فالتصوف مدارس مثل المدارس الفقهية (١)، فإن صحت نسبة تلك الآراء إليه – وما أراها صحيحة – فهي لا تمثل آراء عشر الصوفية في العالم الإسلامي. وإن كانت مدسوسة عليه فيلزم الصوفية البراء ة من كل ما يخالف الشرع الحنيف فيها، فالتعميم من الأخ الداعية الشيخ جاسم المهلهل غير صحيح". (ص ٢٤٦)

وقال في الحاشية في الصفحة نفسها:

" لقد ترجح عندي أن كل مخالفة عقدية في كتب الشيخ محي الدين ابن عربي إنما هي من دس الزنادقة الذين كانوا يتظاهرون بالتصوف، ولاعتقادي هذا فإني أترحم على الشيخ وأترضى عنه مع إقراري بأن فيما ينسب إليه من كتب دسا كثيرا يصل إلى حد الزندقة والضلال والكفر". (ص ٢٤٦)

ولو أن الشيخ عداب أخرج للأمة كتابا يبين فيه ما يوجد من " الزندقة والضلال والكفر" في كتب ابن عربي – حسب رأيه – لكان ذلك أنفع وأقوم لكثير من مريديه المغترين بتلك الكتب.

(يتبع)



التوجيه الإسلامي

الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم

(٢-٢)

مسيكة بنت عاصم القريوتية

حكم ساب الصحابة من غير أزواج النبي ﷺ و عقوبته

اتفق أهل السنة والجماعة على حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم: ولكن اختلفوا في هل يكفر ساب الصحابة رضي الله عنهم، فيقتل أو يفسق بذلك و يعاقب بالتعزير (١)....

أ- ذهب جمع من أهل العلم إلى تكفير ساب الصحابة رضي الله عنهم، ومن فعل ذلك فقد أباح نفسه، و حل قتله إلا أن يتوب من ذلك، و يترحم عليهم.

وممن ذهب إلى هذا القول من السلف: عبدالرحمن بن أبزى (٢)، والأوزاعي(٣)، والفريابي (٤)، و كذلك بعض العلماء من الحنفية، و المالكية، والشافعية (٥)، والحنابلة (٦)، والظاهرية (٧).

واستدل هؤلاء القائلون بتكفير ساب الصحابة والطاعن في عدالتهم رضي الله عنهم بأمور منها:

١- أن سب الصحابة وطعنهم إيذاء لرسول الله ﷺ وانتقاص له: لأنهم أصحابه

(١) انظر: إلقام الحجر، للسيوطي (ص:٧١)

(٢) انظر: الصارم المسلول (ص:٥٨٤)

(٣) الشرح والإبانة، لابن بطة (ص:١٦٢)

(٤) الصارم المسلول (ص:٥٧٠)، وانظر: إلقام الحجر، للسيوطى (ص:٧١)

(٥) انظر: فتح الباري (٧/٤٤)

(٦) انظر: الصارم المسلول (ص:٥٧٠)

(٧) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (١/١٤٩)

الذين رباهم و ذكرهم بخير و أوصى بهم خيرا، و معلوم أن إيذاء النبي ﷺ كفر فيكون سب صحابته كفرا(١).

٢– أن الطعن في الصحابة و تجريحهم رضى الله عنهم مفاده إبطال جميع أحكام الشريعة الإسلامية؛ لأنهم نقلتها، والمبلغون لها (٢).

٣– إن الطعن في الصحابة يؤدي إلى إنكار ما قام عليه الإجماع على فضلهم، وشرفهم، و مصادمة للمتواتر من الكتاب والسنة الدالين على عدالتهم و فضلهم، ولا شك أن من عارضهما أو لم يقبل ما دلا عليه فهو على خطر عظيم؛ بل لو أنه أنكر حرفا من القرآن كفر ـ والعياذ بالله ـ(٣).

٤– عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "آية المنافق بغض الأنصار، و آية المؤمن حب الأنصار" (٤).

و سب الصحابة رضي الله عنهم زيادة على بغضهم، فيجب أن يكون سابهم منافقا لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

ب ـ ذهب فريق آخر إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسبهم رضى الله عنهم؛ بل يفسق و يضلل، ولا يعاقب بالقتل؛ بل يؤدب ويعزر تعزيرا شديدا؛ حتى يرتدع من هذا الجرم، الذي هو كبيرة بلا خلاف، و إن لم يرجع تكرر عقوبته حتى يتوب.

وممن ذهب إلى هذا القول: عمر بن عبدالعزيز، و عاصم الأحول.

ومن الأئمة: الإمام مالك وغيرهم كثير.

أتي عمر بن عبدالعزيز برجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته؟ قال:

(١) انظر: الصارم المسلول (ص:٥٨٠)

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٩٧)

(٣) الدين الخالص (٣/٣٨٢)

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة حب الأنصار (ح:١٧)، و مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضى الله عنهم من الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق (ح:٧٤)، واللفظ لمسلم.

أبغضه. قال: وإن أبغضت رجلا سببته؟ قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطا (١).

وعن عاصم الأحول: أتيت برجل قد سب عثمان رضى الله عنه، فضربته عشرة أسواط. قال: ثم عاد لما قال؛ فضربته عشرة أخرى. قال: فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطا (٢).

وقال القاضي عياض ـ مبينا مذهب مالك، والمالكية في هذه المسألة ـ: "وقد اختلف العلماء في هذا، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد، والأدب الموجع؟

قال مالك ـ رحمه الله ـ : من شتم النبي قتل، ومن شتم أصحابه أدب" (٣).

وقال إسحاق بن راهويه: " من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب و يحبس" (٤).

واستدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بأدلة، منها:

١– عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: "أغلظ رجل لأبي بكر رضى الله عنه. فقال أبو برزة: ألا أضرب عنقه؟ قال: فانتهره وقال: ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ" (٥).

٢– أن الله تعالى ميز بين مؤذي الله و رسوله، و مؤذي المؤمنين؛ فجعل الأول ملعونا في الدنيا والآخرة، وقال في الثاني: ﴿فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ [الأحزاب:٥٨]. ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل؛ و إنما هو موجب للعقوبة في الجملة؛ فتكون عليه عقوبة مطلقة، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل (٦).

٣– قال النبي ﷺ: "لا يحل دى امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، و أني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة"(٧).

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٣٤١/٧)

(٢) رواه أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال (٤٢٨/١، ح:٩٤٨)

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١١٠٨/٢)

(٤) الصارم المسلول، لابن تيمية (ص:٥٦٨)

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٩/١) مسند أبي بكر.

(٦) الصارم المسلول (ص:٥٧٨–٥٧٩).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس والعين بالعين﴾ [المائدة:٤٥] (ح:٦٨٧٨)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب مايباح به دم المسلم (ح:١٦٧٦)، واللفظ للبخاري.

ومطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر؛ لأن بعض من كان على عهد النبي ﷺ كان ربما سب بعضهم بعضا، ولم يكفر أحد بذلك (١).

والحاصل: أن من سب الصحابة رضي الله عنهم جاهلا بالنصوص الواردة في فضلهم والنهي عن سبهم، فإن سبهم لا يقدح في دينه لجهله ولعدم قيام الحجة عليه.

و أما من سبهم، بعد قيام الحجة عليه فلا يخلو حاله عن أحد الأمرين: إما الكفر، وإما الفسق.

ثم إنه متفق على أن من استحل سب الصحابة؛ فهو كافر؛ لأن استحلال الحرام والفسق كفر، و تحريم سب الصحابة معلوم من الدين بالضرورة(٢).

فعلى هذا؛ يكفر من أبغضهم أو سبهم جميعا، أو أكثرهم سبا يقدح في دينهم و عدالتهم مثل: أنهم ظلموا وفسقوا بعد النبي ﷺ؛ لأنه بذلك أبطل الشريعة بكاملها؛ لأنهم النقلة لها، وكذلك إذا اقترن بسبه دعوى ألوهية علي رضي الله عنه فلا شك في كفره، وكفر من توقف في تكفيره.

وكذلك يكفر من أبغض واحدا أو أكثر لأمر يرجع إلى الصحبة والنصرة لرسول الله ، أو الجهاد؛ لأنه إيذاء للرسول ﷺ، وإيذاء الرسول كفر، و أما إذا كان البغض لأمر لا يرجع إلى الصحبة، ولا النصرة، فهو مبتدع فاسق، وعلى الحاكم أن ينكل به نكالا شديدا، ولا يبلغ به حد القتل حتى يظهر التوبة، و يرجع عن طعنه في الصحابة، و يعرف لهم حقهم رضي الله عنهم.

وأما من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم، ولا دينهم كأن يقول بأنه كان فيهم قلة معرفة بالسياسة والشجاعة، أو كان فيهم شح و محبة للدنيا فهذا يستحق التعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى ذلك يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم (٣).

هذا حكم ساب الصحابة رضي الله عنهم و عقوبته، ومما ينبغي التفطن له أن القدح في

---

(١) الصارم المسلول (ص:٥٧٨–٥٧٩)

(٢) انظر: إلقام الحجر، للسيوطي (ص:٧١)

(٣) انظر لما سبق: عقيدة أهل السنة في الصحابة، للدكتور ناصر الشيخ.

هؤلاء الصفوة المختارة رضي الله عنهم لا يضرهم شيئا؛ بل يفيدهم، ولا يضير القادح إلا نفسه، فمن وجد في قلبه محبة وسلامة من الغل لهم؛ فليحمد الله، وليسأل الثبات على الهدى، ومن كان في قلبه غل لهم فليتق الله، و يقلع عن جريمته؛ و ليتب، فما يزال باب التوبة مفتوحا قبل أن يندم حيث لا ينفع الندم.

حكم ساب أزواجه ﷺ و عقوبته

إن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - أزواج النبى ﷺ لهن مكانة خاصة بهن، إضافة إلى كونهن داخلات في عموم الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهن منهم، وكل ما جاء في تحريم سب الصحابة من آيات قرآنية، و أحاديث نبوية، فإن ذلك يشملهن؛ لما لهن من المنزلة العظيمة؛ ولقوة قرابتهن من سيد الخلق ﷺ.

و سأورد في هذا الفصل خلاصة ما ذكره أهل العلم في حكم سابهن رضي الله عنهن فأقول:

حكم من سب عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

لقد أجمع أهل العلم من أهل السنة والجماعة على أن من طعن في عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، وبما رماها به المنافقون من الإفك، فإنه كافر مكذب بما ذكره الله في كتابه من إخبار ببراء تها، و طهارتها، وقالوا: إنه يجب قتله (١).

و أما حكم من سب غير عائشة رضى الله عنها من أزواجه ﷺ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كساب غيرهن من الصحابة رضي الله عنهم.

الثاني: أنه كقذف عائشة رضي الله عنها، وهو أصح القولين (٢).

قال ابن حزم - رحمه الله تعالى - بعدما ذكر أن رمي عائشة رضي الله عنها ردة تامة، وتكذيب للرب - جل وعلا- في قطعه ببراء تها: "وكذلك القول في سائر أمهات المؤمنين ولا فرق؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرء ون مما يقولون﴾ [النور:٢٦] . فكلهن مبرآت من قول إفك، والحمد لله رب العالمين" (٣).

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١١٠٩)، والصارم المسلول (ص:٥٦٦-٥٦٧)، وتفسير ابن كثير (٣/٢٧٦).

(٢) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/١١١٣).

(٣) المحلى، لابن حزم (١١/٤٥١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: "والأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين، فهو كقذف عائشة رضي الله عنها، .... وذلك لأن هذا عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده" (١).

الخاتمة

مما سبق يظهر لنا عظم فضل الصحابة رضى الله عنهم، كما هو مقرر في الكتاب والسنة، و أقوال أئمة الهدى، إذ زخرت النصوص بفضائلهم الكثيرة، وما كتبته هو قطرة من بحور فضائلهم، و أهل السنة والجماعة هي الفرقة الوحيدة التي وفقت للصواب فيما يجب للصحابة رضى الله عنهم، وأجمله بما يلي:

– وجوب محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللسان، بما أسدوه من المعروف والإحسان، والترحم والترضي عنهم، والاستغفار لهم؛ تحقيقا لقوله تعالى: ﴿والذين جاء و من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخوننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠]

– اعتقاد عدالتهم جميعا دون استثناء؛ بخلاف أهل البدعة الذين يعتقدون وقوع الكفر في بعض الصحابةوالنفاق والردة وارتكاب الكبائر.

– اعتقاد أنهم أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ، وأن قرنهم خيرالقرون، و أنه لايمكن لأحد أن يبلغ مبلغهم، وأن المد من أحدهم يبلغ مثل أحد ذهبا أو أكثر.

– عدم التفريق في العدالة بينهم، فلا يستثنى أحد، بخلاف الجفاة والغلاة الطاعنين في كثير منهم، ولاشك بأن بعضهم أفضل من بعض.

– وجوب الكف عما شجر بينهم إذ ما حصل منهم إنما هو محض اجتهاد فمن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد.

– السير على منهجهم، والتمسك بهديهم، وسلوك سبيلهم، والاقتداء بهم، وخصوصا الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم.

وصلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.☆☆

---

(١) الصارم المسلول (ص:٥٦٧)، و انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٧٦)

تفنيد المزاعم

صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام ورسالته

(ردا على ما كتبه كريغ وين بعنوان: محمد رسول الهلاک)

الدكتور / صلاح الدين الندوي، الأزهري (٣)

ج. الاستعمار الغربى و نواياه

ويحسن بنا أن نذكر هنا ما هو الاستعمار الأوربى أو الغربى؟ "فهو اصطلاح حديث، جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأوربيون في عصور الاستعمار، من تقسيم العالم إلى الشرق والغرب، يعنون بالغرب أنفسهم، و يعنون بالشرق أهالى آسيا وإفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم. وإن كانت الكلمة حديثة اصطلاحا و استعمالا، فهى قديمة في مفهومها ودلالتها. فقد كانت فى العالم من زمن قديم قوتان تصطرعان و تتنازعان السيادة، إحداهما فى الشرق، والأخرى فى الغرب، و تمثل ذلك الصراع بين الفرس والروم ـ كما رأينا ـ ثم الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم بين العثمانيين والأوربيين، مدا وجزرا، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلا في آسيا و إفريقيا، و بين الغرب ممثلا في أوربا وأمريكا، وهي صلات متنوعة بعضها ثقافي، و بعضها اقتصادي، وبعضها سياسي، والصلات بين الشرق والغرب التي جرت أحداثها خلال القرنين الأخيرين في جانبها الثقافي، فلها أثرها في الإسلام بصفة خاصة، وهي صلات تميزت عن الصلات الأخرى التي تمت من قبل بطابع معين، يرجع ظروف هذا الاتصال التي تغاير كل ما سبقها من ظروف وملابسات. فقد كان اتصال الإسلام بغيره من الحضارات والثقافات دائما اتصال الغالب بالمغلوب، أو اتصال الند بالند. أما اتصاله بالغرب في هذه الفترة الأخيرة، فقد كان اتصال المغلوب بالغالب. لأن الدول الأوروبية كانت قوية بثوراتها الصناعية الحديثة، وبسياستها التوسعية والاستعمارية والتدخلية، وكانت تفهم أن الدول الإسلامية عامة، والخلافة

العثمانية خاصة هي العدو الوحيد والعقبة الأساسية في طريقها نحو الأمام، وبذلك كانت تهدف دائما إلى تدمير الخلافة الإسلامية كلية، ومحاولة التغلب على الدول الإسلامية، وكان الأوروبيون قد بدأوا يتطلعون إلى الدول الإسلامية، فيسيل لعابهم، ثم تبدأ أنيابهم تنهش هذا الجسد للأمة الإسلامية عضوا عضوا، وإربا إربا. (١٢)

ونسأل الآن المؤلف (وين) من هو المسئول عن الدمار والخراب الذي لحقت به الدول الإسلامية من المستعمرين الأوربيين المخربين؟ يجب أن يطالع المؤلف الأمريكي التاريخ الحديث، ليعلم هذه الحقيقة أن عقيدة الإسلام ورسالته رحمة للبشرية جمعاء، ونبينا محمد ﷺ هو "رحمة للعالمين".

قال المؤلف: (إن التزييف الذي ارتكبه محمد جعل بلايين المسلمين يعيشون في حالة فقر اجتماعي واقتصادي وديني وثقافي ..).

إن الفقر والبؤس الذي نراه في دول العالم الإسلامي ليس سببه هو الإسلام، ولا الذي جاء به النبي ﷺ من شرائع وأحكام نافعة. وإنما هو الاستعمار الغربي الغاصب، ثم القائمون بأمور المسلمين في بلادهم، ثم نظام البنوك والمعاملات اليهودي الإبليسي القائم على الربا، وبهذا النظام نرى يكسب واحد ويخسر الآخرون ملايين من الدولارات في لحظة واحدة.

في الواقع المؤلف الأمريكييريد أن يشير إلى أن المجتمع الإسلامي معناه المجتمع الفقير، فنسأله ما علاقة الدين الإسلامي بالفقر والبؤس؟ إن المجتمع الإسلامي ليس فقيرا، ولكنه يتمتع بنعمة الاستغناء، الفقر لا يعتبر عيبا من العيوب الاجتماعية عند المسلمين، والمؤمن الفقير يعتز بفقره، وشأنه في فقره ليس أقل من سلطان.

وحين ندرس الغرب لنرى كيف نشأ وتطور وكيف وصل إلى الذروة في القرن التاسع عشر، نرى أنه قد وصل إلى بداية نهايته، ونحن لا نقول هذا الكلام، وإنما الكثير من فلاسفة الغرب الآن يقولون: ربما بدأت النهاية، (سبنلر) يتكلم عن انهيار الغرب. (هوسر) يتكلم

(١٢)الإسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد حسين ص:١١-١٢، دار الإرشاد، مطبعة دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

عن إفلاس الغرب. (توينبي) عن محاكمة الغرب. (فاكسيل) يتكلم عن انقلاب القيم في الغرب. (هوسر) يتكلم عن أزمة العلوم الأوروبية. فكثير من الفلاسفة الآن يقولون إن الغرب أصبح في أزمة كبيرة. ربما نحن نشاهد نهاية العصور الحديثة. أعلن (نتشية) أن الله قد مات، ويحيى الإنسان. وأعلن (كارل ماركس) أن الإنسان كذلك قد مات. فلا أحد يحيى في الغرب. فالغرب في النهاية. (١٣)

فيمكن أن نستنتج أن ظاهرة اللادينية التي هي شائعة في الغرب، قد تكون من آثار الأمراض النفسية للمجتمع الأوربي الملحد المريض الذي وصل إلى نهايته. وحالة هذا المؤلف الأمريكي قد لا تختلف عن تلك الحالات. وقد تكون حالة المؤلف هذه عبارة عن وجود هيجان في تصرفات الأوساط المسيحية المتعصبة بالإقبال المتزايد على دراسة الإسلام في الغرب، باعتباره علاجا مناسبا لأمراضهم الاجتماعية، وحلا وحيدا لقضاياهم العصرية، وكتابه هذا قد يكون مجرد محاولة لتخويف الغرب من الاقتراب من هذه الشجرة المحظورة (الإسلام) عند الوجوديين الماديين اليائسين في الغرب.

في الواقع كلام المؤلف ليس صحيحا، بل العكس هو الصحيح. إن الدول الغربية المستعمرة أكلت ما كان في خزائنها المملوء ة من ممتلكات الشعوب الضعيفة، التي أخذتها من مستعمراتها في آسيا وإفريقيا، بعد أن تظاهرت بكل براعة ومهارة وخبرة طويلة في اللصوصية، وأباحت لنفسها أموال تلك السرقات باعتبارها غنائم الاستعمار، وتلك الخزائن أصبحت خالية الآن، فجاء ت مرة أخرى لاحتلال تلك الدول الإسلامية بالقوة، إنه ذلك اللص القديم الذي جاء إلينا هذه المرة بملابس الثقافة العصرية، لتملأ خزائنها الخالية مرة أخرى. ويبدو من كلام المؤلف أنه بعيد عن النزعة الدينية، بل أتجاوز خطوة وأقول إنه يكره كل دين بميوله المادية، وشاعر الإسلام محمد إقبال كان له حق لينوه بأساس الحضارة اللادينية، ويقول:

(١٣) الإسلام وتحديات العصر (مقال) للأستاذ حسن حنفي مجلة "جوهر" ص:١٨٠ عدد ينيو ٢٠٠١م الصادرة من الدراسات العليا بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، جاكارتا- إندونيسيا.

"ولكن إياك والحضارة اللادينية التي هي صراع دائم مع أهل القلوب (يقصد أصحاب الحق والمعرفة) تجلب مفاتنها، وتقوم بإعادة اللات والعزى إلى الحرم مرة أخرى، إن القلب يعمى بتأثيرها، وإن الروح تموت عطشا في سرابها، إنها تقضى على لوعة القلب، بل تنزع القلب من القالب، إنهالص بارع وقديم، لها خبرة في اللصوصية، فتشن الغارات ليلا ونهارا، وصباحا ومساء ا وعلنا وجهرا، إنها لا تدع الإنسان إلا ولا روح فيه، ولا قيمة له". (١٤)

ويقول:

" إن شعار الحضارة الحديثة الفتك ببني آدم، الذي تقوم عليه تجارتها، وتنفق سلعتها، ليست هذه البنوك إلا وليدة دهاء اليهود الأذكياء، التي انتزعت نور الحق من صدور بني آدم، إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم ينقلب هذا النظام رأسا على عقب". (١٥)

يقول أيضا:

" لقد تضخم العلم وتقدمت الصناعة في أوربا، ولكن أوربا في الحقيقة بحر الظلمات، ليست فيه عين الحياة، إن مباني بنوكها تفوق مباني الكنائس في البناء والتعمير والبهاء والكمال، والإناقة والنظافة، ويبدو أن معاملاتها التجارية تجارة، ولكنها قمار في الحقيقة، يربح فيه واحد ويخسر ملايين من الناس في لحظة واحدة، إن هذا العلم، وتلك الحكمة والسياسة والحكومة التي تتبج بها أوربا هي مظاهر جوفاء (ودعايات كاذبة) ليست وراء ها أية حقيقة، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب ويتظاهرون بأنهم يقومون بتدريس الدروس في المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ". (١٦)

" إن البطالة والعري وشرب الخمر والفقر كل هذه الأشياء متوافرة لدى الحضارة الغربية، فهل هذه كلها من غنائم فتوحاتها وانتصاراتها المدنية قليلة؟ إن الأمة التي لا نصيب لها في التوجيه السماوي والتنزيل الإلهي، وغاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار، إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات وتسيطر فيها الصناعة، تموت فيها القلوب ويقتل فيها الحنان

---

(١٤) ضرب الكليم ص:٩٨- ٩٩ (١٥) ماذا ينبغى أن نعمل يا أمم الشرق ص:٤١

(١٦) ماذا نعمل يا أمم الشرق ص: ٨٥

والوفاء ومعاني الإنسانية الكريمة". (١٧)

د. عقيدة الإسلام ورسالته

إن المستشرقين يقولون إن شريعة الإسلام معظمها مأخوذة من شريعة اليهود، والمؤلف يقول: إن محمدا اخترعها لسرقة أموال الفرس والبيزنطيين. يعني حسب قول المستشرقين نستنتج أن الشريعة اليهودية هي الشريعة الإلهية، والشريعة الإسلامية مأخوذة من شريعة إلهية، فالشريعة الإسلامية هي الأخرى شريعة إلهية، سواء كانت هي مأخوذة من التوراة أو من القرآن الكريم الذي نسخ كتب أهل الكتاب السابقة المحرفة. والمؤلف الأمريكي يدعي أنه درس الشريعة الإسلامية، فوجدها مزورة لا أساس لها من الوحي، وهي منبع كل شر وفساد، فكل منهم يكذب الآخر، وأما نحن فلا نعلم سوى أن عقيدة الإسلام ورسالته هي (تنزيل من حكيم حميد).

وقال المؤلف: إن سنة محمد ﷺ كانت لقتل غير المسلمين جميعا والإبادة البشرية إلى آخرها، فنسأله كيف عاش في (يثرب) اليهود والمسلمون جميعا جنبا إلى جنب في جو التعاون والاحترام المتبادل في السلم والحرب في عهد النبي ﷺ، ثم في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؟ ولو كانت سنة المسلمين هي القتل والدمار، لما بقي اليوم وجود لأي يهودي أو نصراني في شبه الجزيرة العربية، والشام ومصر، وما شوهدت اليوم آثار هذه المقدسات للمسيحيين في القدس ولا في الأراضي العربية المحتلة. وكل من له الإلمام بالتاريخ يعلم جيدا ماذا فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع مقدسات المسيحيين في القدس، وعمرو بن العاص (رضي الله عنه) مع مقدساتهم في مصر حين فتحها، وكل من له الإلمام بسيرة عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما يعلم جيدا أن عدالة الإسلام لم تكن أقل من عدالة كسرى أو شيروان عندهما، وإنما العدالة الاجتماعية في الإسلام هي فوق كل اعتبار.

فلم ينقص حقوق أهل الكتاب، لا في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم جميعا) لأن الرسول الكريم ﷺ عني بعد الهجرة بالاتفاق مع اليهود الذين كان

(١٧) المرجع السابق ص: ٨٦.

يقيم جموع كثيرة منهم بالمدينة، عنى بالاتفاق معهم على أساس من الحرية والتحالف، فعقد معهم وثيقة سياسية منحت كفالة الحريات العامة بين المواطنين في السلم وفي الحرب، وتضمنت حرية الراي والعقيدة وحرمة الحياة والمال، وتحريم الجريمة، والضرب على أيدي مرتكبيها، وأكدت العدالة والمساواة بين سكان المدينة على اختلاف عقائدهم في الحقوق والواجبات.

فالتزم سكان (يثرب) من مسلمين ويهود بالاشتراك في المقاومة ضد المغيرين، والدفاع عنها بالأموال والأنفس، فتحقق في المدينة بذلك كل مقومات الدولة التي يقضي بها القانون، فأهلها جماعة من السكان يقيمون بأرض ذات حدود معينة ويشتركون في العمل على تحقيق هدف مشترك، هو بسط لواء الأمن والسلام في المدينة، والقيام بواجب الدفاع عنها، ودستورها هو كتاب الله رب العالمين، وكان على رأس النظام فيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، وانفسح المجال أمامه لنشر الدعوة الإسلامية التي وضعت أسس حضارة قدمت للعالم أجل الخدمات. (١٨)

هـ . النبوة والرسالة

وأما ما يتعلق بالوحي السماوي وبنبوة النبي ورسالته ﷺ، فهي تلك الادعاء ات الكاذبة التي دحضها علماء المسلمين بعد مطالعة ما أنتجه المستشرقون للنيل من عقيدة الإسلام ورسالته، وكل ما أشاعه أتباعهم والمعجبون بهم عن دراساتهم من منهجية وموضوعية في فترة كان يعاني فيها معظم العالم الإسلامي من الضعف والوهن، فلنا حق أن نعرف ما يقوله الآخرون عن عقيدة الأمة الإسلامية، وأخلاقها وثقافتها وحضارتها، ولنا حق أيضا أن نتناول هذه الأقوال بالتحليل والنقد، لأن التهاون والسكوت عنها قد يكون اعتباره تسليما ضمنيا بها، فنحن نذكر أولا أقوال المستشرقين في هذه الموضوعات التي لها صلة بشخصية نبينا محمد ﷺ:

يقول المستشرق: (كارادي فو Carrade Vaux):

"ظل محمد زمنا طويلا معروفا في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة، ولا فظاظة إلا نسبوها إليه". (١٩)

(١٨) من حضارة المسلمين للدكتور أحمد مجاهد مصباح ص: ٢٦.

(١٩) كتاب المحمدية ص: ٢٠، ط: باريس عام ١٨٩٧م.

فلا شك أن أصداء الحملات المغرضة ضد الإسلام وعقيدته، ورسالة نبيه ﷺ من بعض علماء المستشرقين المسيحيين واليهود هي التي زرعت الضغينة على المسلمين، وأثرت في نفوس الغربيين عامة.

فالمستشرق (كولى) – على سبيل المثال – وصف الإسلام بأنه أسس على التعصب والقوة، وبأنه سمح لأتباعه بالسلب والفجور، وأنه وعد الذين يموتون في القتال (الجهاد) بملذات الجنة. وتحدث (كولى) عن الحروب الصليبية، فقال: (.. وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن، وعلى ما تضمنه من قوانين الأخلاق الساذجة). (٢٠)

ومؤلف هذا الكتاب (محمد رسول الهلاك) من أمثال هؤلاء الذين أساء وا إلى أنفسهم، وإلى المسلمين، وإلى المستشرقين النزهاء، حتى صار كل ما يكتبه مستشرق عن الإسلام ينظر إليه بعين الحذر والاحتراز، ويبحث عما يوجد فيه من دس أو ثلب.

وأما ما ورد في كتابه عن القرآن الكريم وهو أيضا ليس جديدا عندنا، لأن معظم المستشرقين يكادون يتفقون على أن القرآن ليس من عند الله، وعلى أن محمدا استقى مادته من الأحبار والرهبان الذين كان يتلقى عنهم المعلومات الدينية من كتب العهدين: العتيق والجديد، فالموضوع يتعلق أساسا بمصدر الوحي.

و. مصدر الوحي وبشرية القرآن

نحن نؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله المنزل بالوحي على قلب الرسول ﷺ، فالله تعالى بذاته الجليلة هو المتكلم به والمنشيء له كما يدل عليه ضمير المتكلم في قوله تعالى: (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) (الإنسان: ٢٨) فميزته على سائر الكتب السماوية هي أنه وحي إلهي في لفظه ومعناه. بينما نرى في العهد القديم والجديد أن النبي هو الذي ينشيء الكلام الذي أوحي به إليه، ثم خاطب به الناس باعتبارهم شعبه. فكان للقرآن دون غيره من الكتب السماوية هذه الميزة الفريدة، وهي أنه (كلمة الله) وقد أبدع فيه من فنون القول ما تحدى به مقارعيه من أهل البيان عن الاتيان بمثله، ورغم ذلك نرى أن أكثر المستشرقين

(٢٠) البحث عن الدين الحق / كولى ، طبع عام ١٩٢٨م.

يميلون إلى بشرية القرآن.

في الواقع أن الموضوع يرتبط جذريا بإقرار النبوة لمحمد ﷺ، لأن الإنكار يفضي إلى نتيجة واحدة لا محالة. فالنبي ﷺ في عقيدتنا الإسلامية هو من أوحى الله سبحانه إليه وحيا، وأمره بتبليغه، فكان رسولا، ينبيء عن الله وينبيء عنه، والوحي الذي أنزله الله عليه، لم يكن إلهاما فاض من استعداد نفسه العالية، ولا من عقله الباطن أو نفسه الروحانية على مخيلته، وانعكس اعتقاده على بصره، فرأى الملك ماثلا له، وعلى سمعه، فوعى ما حدثه الملك به، كما يزعم بعض المستشرقين، وخاصة(مونتغومرى وات) الذي تناول هذا الموضوع في كتابه (محمد في مكة) فالخلاف بيننا وبينهم هو في كون الوحي من خارج نفس النبي ﷺ ولم يكن من داخلها كما يتوهمون، وفي نزول ملك روحاني نزل بحق من عند الله عليه ﷺ كما قال عز وجل: (وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين) (سورة الشعراء: ١٩٢–١٩٥)

ومن المستشرقين من يتحدث عن الوحي والنبوة كما يتحدث علماء النفس عن أبطال التاريخ وعظماء الرجال، وقادة الثورات وزعماء الإصلاح الاجتماعي أو عما ينفرد به بعض الناس من خصائص العيون والآذان الداخلية، يلتقطون بها ما لا يتمكن الإنسان العادي من سماعه أو رؤيته، وهذا ما قاد الإنسان إلى تجارب الدين. (٢١)

ويجدر بنا أن نذكر هنا من أقوال بعض المستشرقين في الوحي (القرآن الكريم) لأن أصحابها لم يفهموا حقيقة الوحي والنبوة، كما لم يعرفوا العلاقة التي تربط بينهما، سوى أنهم فهموا أن الوحي ليس سوى حلول روح الله في روح الموحى إليه – كما فهمت المسيحية – وجعلت المسيح إلها بهذا الحلول، لأن من حل فيه روح الله صار إلها. وهو ما يرفضه الإسلام رفضا قاطعا، فالله سبحانه وتعالى لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره.

وخير شاهد على ما نقول هو قول (درمانج هام: E. Dermanghame): (حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والمسيحية، ودامت عدة قرون، اشتد النفور بين الفريقين وأساء كل منهما فهم الآخر، ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر، فعلى إثر المعركة الفكرية العنيفة التي رموا فيها الإسلام بالمساويء من خلال جدلهم

(٢١) Encyclopadia of Social Siences (1957vo. 13/230

البيزنطي، ودون أن يتعبوا أنفسهم في دراساتهم، هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إلا تهما باطلة، بل متناقضة). (٢٢)

ومهما يكن من أمر فإن من المستشرقين النزهاء من تركوا أثرا عميقا في الرأي العام الإسلامي والرأي العام الأوروبي، كالمستشرق الفرنسي (كلود اتيان سافاري) فقد وصف الرسول ﷺ في مقدمة ترجمته للقرآن بالعظمة وقال: (أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة، لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافيء على الفضيلة، ويعاقب على الرذيلة، فالغربي المتنور وإن لم يعترف بنبوته لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ).

وكذلك قال المستشرق الإنجليزي (توماس جار لايل) في كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال). (٢٣)

"لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور – كما قال (وين) في كتابه (محمد رسول الهلاك) – فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لمئات الملايين من الناس أمثالنا، وخلقهم الله الذي خلقنا. أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما الناس إذا إلا بله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث، وكان الأولى ألا تخلق" (٢٤) ثم حلل (لايل) شخصية الرسول ، وكشف عن نواحي عبقريته التي تتجلى فيها أسمى معاني الوحي، وانتهى إلى القول إن محمدا ﷺ كان مخلصا في دعوته، صادقا في عقيدته مثل غيره من العظماء المؤمنين.

وهذه هي بعض الآراء للمستشرقين في شخصية النبي العربي ﷺ وهي معتدلة، وكان يجب أن يرجع إليها الكاتب (وين) قبل أن يؤلف كتابه (محمد رسول الهلاك) ليرجع إلى عقله ووعيه، ولا يبقى بعيدا عن دنيا العلم والمعرفة.☆☆ (يتبع)

---

(٢٢) حياة محمد ص: ١٢٥، ط: باريس عام١٩٢٩ م.

(٢٣) Thomas garlyl: On Hero-worship and The Heroic in History, London 1849

(٢٤) مناهج المستشرقين (تعريب محمد الساعي) ط. ص: ٢٤–٢٥.

آفاق إسلامية

من روائع أوقاف المسلمين

عيسى القدومي

الحديث عن الوقف في الإسلام وامتثال الصحابة رضوان الله عليهم وصية النبي ﷺ في اتباع سنة الوقف "وهو أن يحبس الأصول من بساتين ودور وآبار" ليصرف من ريعها على أبواب الخير، حديث عظيم، فقد أسهمت تلك الأوقاف في تمكين الاقتصاد الإسلامي وتنمية الموارد لتفي بحاجات الدول وأهلها.

والجوانب الإنسانية في أوقاتنا بلغت الآفاق وأثبتت أن الأمة الإسلامية أمة حية، أمة تجديد لا أمة تبديد، وأمة ابتكار لا أمة تكرار، وأمة إبداع لا أمة ابتداع، جوانب رائعة تأخذ الألباب من دقتها واهتماماتها بأمثلتها الرائعة، وتفردها بنتاجها الحضاري عن سائر الأمم.

أوقاف عديدة حلت مشكلة الفقر، وأسهمت في حل المشكلات الاجتماعية والصحية والنفسية والعلمية والبيئية والإنمائية رحمة بالناس وتخفيفا لمعاناتهم وحفظا لكرامتهم في الحياة، أما بعد الممات فأوقفت المقابر، وخصصت الأوقاف التي تصرف على أكفان الموتى وسد ديون من مات ومعلق في رقبته دين، وأوقاف أوقفت لتكون استراحة للمسافرين ومأوى وإطعاما، وآبار حفرت لأهل البادية وعابري السبيل لسقي ركوبهم وماشيتهم، يقصد منها التقرب إلى الله تعالى، وكسب الأجر في الحياة وبعد الممات.

بل أوقاف فاقت حاجة الإنسان لتلبي حاجة الحيوان، بل البيئة أيضا، وكل مناحي الحياة، فهذا وقف لإطعام الطيور، وذلك لرعاية الخيول التي هرمت بعد أن قدمت خدماتها الجليلة في الجهاد والفتوح، وأخرى لعلاج الحيوانات المريضة، وتلك لشق طرق الحجيج إلى بيت الله الحرام، وآخر لحفر الآبار وسقي الماء.

ولم تعرف البشرية نظاما اقتصاديا كما لنظام الوقف في الإسلام من إحكام وإتقان، فسنة الوقف هي نظام إسلامي شرع بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة، يجب إحياؤها لتحيا الأمة

ويعود لها عزها واستقلالها ومكانتها لتأخذ بأسباب القوة، فالأوقاف من أهم الموارد الاقتصادية للدولة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿لن تنالواالبر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وقال رسول الله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

وقد بلغ من حرص الصحابة أنه لم يبق أحد منهم وهو يستطيع أن يوقف إلا وقف، قال القرطبي: إن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وعائشة وفاطمة وعمروبن العاص والزبير وجابرا كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقافهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة، وذكر صاحب "المغني"، أن جابرا قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف، وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقف، واشتهر ذلك ولم ينكره أحدا، فكان إجماعا.

وكان ﷺ يرشد أصحابه إلى الوقف ويحثهم عليه، ولهذا روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر بخيبر أرضا، فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضا، لم أصب قط مالا أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها". فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث، في الفقراء والقربى وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقا غير متمول فيه.

ولقد امتدح رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، على وقفه أعتاده وأدراعه، فقال: أما إنكم تظلمون خالدا، فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علّم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورّث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته".

فالوقف من أفضل القربات وأجل الطاعات، لما فيه من استمرار العمل الصالح واستمرار أجره لصاحبه بإذن الله تعالى، وهو من خصائص المسلمين، إذ لم يعرف من قبلهم، ولذا قال الإمام النووي – رحمه الله –: الوقف من خصائص المسلمين، وقال أيضا: وهو مما اختص به المسلمون، قال الشافعي: لم يحبس أهل الجاهلية دارا ولا أرضا فيما علمت. "الفقه الإسلامي وأدلته".

نماذج من الأوقاف الإسلامية على مر العصور:

تتابعت الأوقاف منذ عهد النبي ﷺ واستمر القادرون على الوقف على مدى التاريخ الإسلامي يوقفون أموالهم، أوقافا تتسم بالضخامة والتنوع، حيث صارت هذه الأوقاف من مفاخر المسلمين، لم يدعوا جانبا من الجوانب الخيّرة إلا أوقفوا فيه من أموالهم، حتى شملت هذه الأوقاف الإنسان والحيوان، وبلغت ما لا يخطر على بال إنسان أن يفعله في شرق ولا غرب، وهذه نماذج منها أسردها على سبيل المثال لا الحصر.

بئر رومة

أول وقف خيري في الإسلام هو بئر رومة، التي كانت ليهودي يبيع ماء ها لأهل المدينة ليشربوا منها، ولما هاجر النبي ﷺ وقدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: "من يشتري بئر رومة فيكون دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟" فاشتراها عثمان رضي الله عنه وأوقفها على أهل المدينة.

ومن ثمّ بدأ الصحابة يوقفون الأراضي والحدائق والأسلحة والدروع، وأخرج البخاري بالسند إلى أنس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (آل عمران: ٩٢)، قال أبو طلحة أرى ربنا يسألنا من أموالنا، فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت أرضي بيرحاء لله، قال: فقال رسول الله ﷺ: "اجعلها في قرابتك" قال: فجعلها في حسان بن ثابت وأبي بن كعب.

بساتين وعيون قرية سلوان

كان أول الأوقاف وأعمال الخير في بيت المقدس هو المصلى الجامع الذي بناه أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه داخل أسوار المسجد الأقصى حيث كان المسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين.

ومن عناية عثمان بن عفان رضي الله عنه في القدس أنه أمر في خلافته بوقف قرية سلوان المجاورة للقدس ذات العيون والحدائق على ضعفاء المدينة المباركة.

واستمرت الأوقاف في فلسطين والقدس في القرون الأولى وما بعدها من قرون، فكان البناء الأموي للمسجد الأقصى ولمسجد قبة الصخرة. وأوقفت بعدها السبل والتكايا والمستشفيات ودراسة الطب والآبار والمساجد والمدارس والمعاهد، بل أوقفت الأوقاف للصرف على طلاب العلم ومدرسيهم وإيواء الطلبة والوافدين وإطعامهم وكفالتهم بمبالغ

نقدية تدفع لهم، وأوقاف للمقابر، وكفالة العجائز (الأرامل) ممن شددن الرحال إلى المسجد الأقصى وانقطعن هناك بعد وفاة أزواجهن.

وكان الوقف في القدس وفلسطين يقوم بما تحمل أعباء ه وزارات عدة مجتمعة كوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، والصحة والتربية والتعليم العام، والإسكان والتعمير والدفاع والري، فضلا عن وزارة الأوقاف.

بل إن الناصر الفاتح صلاح الدين الأيوبي أعاد الحياة إلى القدس بأن أوقف الأوقاف التي طالت كل مناحي الحياة، ليصرف من ريع الأوقاف على المسجد الأقصى وتسهيل شد الرحال والمكوث في القدس وتوفير الطعام والشراب والمأوى والتعليم والطبابة لأهل القدس وما حولها، وبذلك عادت الحياة إلى القدس سريعا بعد أن غيب عنها المسلمون ٩١ عاما وهي في ظل رماح الاحتلال الصليبي، وخلال أقل من سنة كانت القدس تقصد ويشد إليها الرحال ويتقرب إلى الله في مجاورة المسجد الأقصى وهو ثالث المساجد التي يشد إليها الرحال، وهذا من فقه الناصر صلاح الدين وحنكته أن أعاد الحياة الاقتصادية للقدس وبعودتها عاد النبض لكل مناحي الحياة.

وقف الآنية

روى الرحالة ابن بطوطة في كتابه: (تحفة النظار) بعض ما شاهده في دمشق أثناء تطوافه بها فقال: مررت يوما ببعض أزقّه دمشق، فرأيت مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صحفة من الفخار الصيني، وهو يسمّونه (الصحن) فتكسرت، واجتمع الناس، فقال له بعضهم: اجمع شققها واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني، فجمعها وذهب معه الرجل إليه، فأراه إياها، فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن.

قال ابن بطوطة: وهذا من أحسن الأعمال، فإن سيد الغلام لابد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره، وهو ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك، فكان هذا الوقف جبرا للقلوب.

متنزه الفقراء

من غريب الأوقاف وأجملها قصر الفقراء، الذي عمره في ربوع الشام دمشق نور الدين محمود زنكي، فإنه لما رأى ذلك المتنزه مقصورا على الأغنياء، عز عليه ألا يستمتع الفقراء مثلهم بالحياة، فعمر القصر ووقف عليه قرية (داريا) وهي أعظم ضياع الغوطة وأغناها.

وفي دمشق لا تزال المدرسة النورية التي أنشأها البطل العظيم نور الدين الشهيد، وهي الواقعة الآن في سوق الخياطين، ولا تزال قائمة تعطينا نموذجا حيا لهندسة المدارس في عصور الحضارة الإسلامية، لقد زارها الرحالة ابن جبير في أوائل القرن السابع الهجري، فأعجب بها وكتب عنها.

العصا لمن لا يصلي

☆ من نوادر أوقافنا أن رجلا لم يجد ما يوقفه قبل مماته إلا شجرة في صحن البيت، فجمع أبناءه وأشهدهم بأنه أوقف تلك الشجرة، لتؤخذ أغصانها، ويعمل منها العصي، ليضرب بها من لا يصلي.

بغلة شيخ الأزهر

☆ كان هناك وقف خاص لمركب شيخ الأزهر عرف بمسمى: "وقف بغلة شيخ الأزهر: ليوفر الدابة التي يركبها شيخ الأزهر ونفقاتها وعلفها ورعايتها.

مؤنس المرضى

☆ وهو وقف الإيحاء إلى المريض بالشفاء، ووظيفة من جملة وظائف المعالجة في المستشفيات، وهي تكليف اثنين من الممرّضين يقفان قريبا من المريض، بحيث يسمعهما ولا يراهما، فيقول أحدهما لصاحبه: ماذا قال الطبيب عن هذا المريض؟ فيرد عليه الآخر: إن الطبيب يقول: إنه على خير، فهو مرجو البرء، ولا يوجد في علته ما يقلق أو يزعج، وهذا مما يساعد المريض على النهوض من فراشه للأثر النفسي الذي تتركه تلك الكلمات التي سمعها عليه!

الطيور المهاجرة

☆ وخصص وقف في مدينة فاس على نوع من الطير يأتي في موسم معين، فوقف له بعض الخيرين ما يعينه على البقاء، ويسهّل له العيش في تلك المدة من الزمن، وكأن هذا الطير المهاجر الغريب له على أهل البلد حقّ الضيافة والإيواء!! وغيرها الكثير.

لاشك أنها أوقاف في نهضة الأمة وبناء اقتصادها لخصائص الوقف الإسلامي، فهو نظام محكم متعدد الجوانب متجدد العطاء، وموقظ للقدرات ففيه إبداع وتجديد، يحفظ عز الأمة ومكانتها بدوام فوائده وبقاء عوائده. (مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية، عدد: ٥٥٧)

☆☆☆

أعلام الإسلام

مكانة أدباء وعلماء ولاية بيهار

الدكتور مستفيض الرحمن
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آسام

مكانة علماء وأدباء ولاية بيهار كبيرة جدا في ميدان الآداب العربية والعلوم الشرعية والعقلية بين أدباء وعلماء الدين للبلدان العربية والعالم الإسلامي وشبه القارة الهندية أي الهند وباكستان خاصة.

ومن الممكن أن نعرف ذلك بعد مطالعة الكتب التاريخية والآداب العربية والفارسية والأردية، وذلك لأنه قد برز عدد من الفضلاء من هذه المنطقة في هذه اللغات .

ومن كبار العلماء الأفذاذ الذين نالوا شهرة عظيمة في ميدان العربية المحدث شمس الحق العظيم آبادي صاحب كتاب "عون المعبود شرح سنن أبى داود" والعلامة ظهير أحسن شوق النيموي صاحب كتاب "آثار السنن" والمحدث نذير حسين البيهاري ثم الدهلوي صاحب كتاب "مكاتيب نذيرية" والسيد سليمان الندوي صاحب كتاب "سيرة النبي ﷺ" والعالم الكبير محب الله بن عبد الشكور البيهاري صاحب كتاب "مسلم الثبوت" و " سلم العلوم" والفقيه محمد علي بن عبد العلي بن غوث علي المنغيري صاحب كتاب "مرآة اليقين" و "دفع البليات" والسيد مسعود عالم الندوي صاحب كتاب: "الإمام محمد بن عبد الوهاب: مصلح مظلوم ومفترى عليه" ومولانا ظفرالدين البيهاري صاحب كتاب "ظفر الدين الجيد" ومولانا عبدالله عباس الندوي صاحب كتاب " مذاهب المنحرفين في التفسير" إلى غيرهم من الفضلاء المشهورين لهذه المنطقة.

نختار لدراسة تفصيلية بعض علماء الدين والكتاب الذين تركوا آثار أقدامهم على رمال الزمن وأثروا على جيلهم وزودوا الأجيال القادمة بنتائج قرائحهم، ومنهم الشيخ

المحدث شمس الحق العظيم آبادي، له مؤلفات عديدة في اللغة العربية وتأثر علماء الدين والأدب المعاصرون بأفكاره، ولا يخفى على من له إلمام بالتاريخ الإسلامى للهند أن علماء الهند وخاصة السلفيون منهم في القرون الثلاثة الأخيرة خدموا العلم والثقافة وقاموا بنشر الكتاب والسنة واللغة العربية. وساهموا في تنشيط الحركة الدينية وبث الوعي الإسلامي وتطهير المجتمع من البدع والعادات القبيحة.

وبجهودهم الطيبة المشكورة قامت هناك عدة مراكز و معاهد علمية ومدارس وجامعات تعليمية ومطابع ودور لنشر السنة النبوية، وإحياء مآثرالسلف، وطبع الكتب النادرة القيمة لأول مرة، وشرح كتب الحديث بالعربية والأردية والفارسية والفنجابية والبنجالية وغيرها من اللغات المحلية. والتعريف بهم وبدورهم الفعال المشرف في هذا المجال يقتضي مجلدا ضخما.

وقد كان الشيخ شمس الحق العظيم آبادى (١٢٧٣ـ١٣٢٩ ﻫ) من كبار المحدثين في هذا العصر، فإنه خدم الكتاب والسنة في بداية القرن العشرين، ونشر عدة كتب في التوحيد والحديث بعد مقابلة نسخها الخطية وتصحيحها والتعليق عليها، ودافع عن السنة وأصحابها، وترك خلفه آثارا جليلة رائعة، ومؤلفات ورسائل قيمة امثال: غاية المقصود، وعون المعبود (كلاهما في شرح سنن أبي داود)، والتعليق المغني على سنن الدار قطني، وإعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر، ورفع الالتباس عن بعض الناس... وغيرها وقد طبعت هذه الكتب أكثر من مرة في الهند وخارجها، وصارت مراجع لا يستغني عنها أي باحث أودارس للسنة، وبذلك ذاع صيته من الهند إلى بلاد العرب في كل قطر. (١)

وقد اشتغل المحدث بالتدريس والإفادة، ووسع صدره لطلاب العلم، فأقبلوا عليه وقصدوا إليه من سائر مقاطعات الهند وغيرها من البلاد مثل إيران وبغداد وعمان ونجد وعسير والبلاد الغربية، وأقاموا عنده شهورا أو سنين، وأخذوا عنه و نهلوا من علمه الجم ومعارفه الواسعة، واستفادوا منه في علوم الحديث خاصة، واستفاض منه خلق كثير، ولم

(١)محمد عزير: حياة المحدث شمس الحق و أعماله، ص:٨ طبع بنارس

تبق أية بقعة من بقاع الهند، وغيرها من أكثر البلاد الإسلامية إلا وقد انتفعت بعلومه ـ فتخرج على يده كثير من العلماء. (٢)

وقد اعترف العلماء بعلمه وفضله في كتاباتهم و أشعارهم ـ يقول الشيخ محمد زبير الديانوي (م ١٣٢٩هـ).

نظم العلماء المراثي في العربية والفارسية وجميعها مذكورة في " هداية الطالبين إلى مكاتب الكاملين". (٣)

ويصفه الشيخ عبد الحي الحسني (م ١٣٤١هـ) فيقول: وكان حليما، متواضعا كريما، عنيفا، صاحب صلاح و طريقة ظاهرة، محبا لأهل العلم. (٤)

وقال الشيخ أبو عبد الرحمن إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي:

إذا ما شئت أن تسعى بجد ... تريد طريقة في الخير مثلي
فأنفس ما سعى الساعون فيه ... و أولى ثم أولى ثم أولى
ببذل الجد في كشف المعاني ... و بذل المال في الإيجاد فعلا
لعمري إنه المغبوط حقا ... و هذا محض فضل الله جلا
كشمس الحق ذي التحقيق علما ... فسل توضيحه لما تجلى
على سنن الإمام الدار قطني ... لتعرف قدر ما النحرير أملى
أتاح الله هذ الحبر يعلي ... أحاديث النبي يبين سبلا
أنل مولاي شمس الحق هذا ... ثوابا منك في عقباه جزلا
على إحيائه سننا أميتت ... وأغفل ذكرها بالرأى جهلا (٥)

---

(٢) المرجع السابق، ص: ٢٨ – ٢٩.

(٣) يادكار كوهري: ص:١١٠.

(٤)عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر ج ٨ ص:١٨٠

(٥) حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٧١.

أما الشيخ القاضي حسين بن محسن اليمانى (م ١٣٢٧هـ) فيقول:

"شيخ الإسلام والمسلمين إمام المحققين والأئمة المدققين، صاحب التآليف المجيدة والتصانيف المفيدة، المشتهر بالفضائل في الآفاق، المحرز قصب الكمال في مضمار السباق، العلامة الهمام" (٦)

وقال الشيخ المحدث عبدالمنان الوزير آبادى (م ١٣٣٤هـ): "رئيس الشارحين، فخر المحدثين، جامع المعقول والمنقول، حاوي الفروع والأصول، أكمل الكملاء، أفضل الفضلاء، وحيد عصره، وفريد دهره، صاحب الفضل والكمال، وافر الجاه والمال، مولانا وبالفضل أولانا ...." (٧)

وأكتفي بهذه الآراء ولو جعلت أنقل أقوال العلماء الآخرين فيه مثل الشيخ محمد بشير السهسواني (م١٣٢٦هـ) صاحب كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" والمحقق السيد سليمان الندوي (م١٩٥٣م) والشيخ أبو الحسنات الندوي (م١٩٢٤م) والشيخ فضل حسين المظفربوري، والحكيم السيد عبدالحي الحسني الندوي (م١٩٢٣م) والقاضي أبي إسماعيل يوسف حسين الخانفوري، والشاه محمد عطا الكريمي، والشيخ أبي إبراهيم أفضل المصطفى نذير الفريدي الأعظمي، والحكيم السيد محمد عبد الحفيظ الدهلوي وغيرهم، (٨) لجاء ت في عدة صفحات، ولعل ما ذكر الآن يدلنا على ماكان المحدث العظيم آبادي عليه من المنزلة والتقدير عندالعلماء والنقاد. (٩)

وولاية "بيهار" حازت مقاما هاما في كل ميدان من ميادين العلم والفن فيما غبر من الزمان، فهناك رجال وصلوا إلى قمة العلم في المعقولات وآخرون حملوا لواء العلوم المأثورة من الحديث والتفسير والفقه و أصولها وما إلى ذلك، فمن لم يسمع اسم العلامة محب الله البيهاري "لسلمه" و "مسلمه" في العلوم العقلية والنقلية والعلامة الشوق النيموي "لآثاره" في

(٦) شمس الحق الديانوي: عون المعبود، ج٤ ص:٥٥٤ (ط ١)

(٧) نفس المرجع : ج١٤ ص:٢٣٦ (ط٢)

(٨) عون المعبود: ج ١٤ خاتمة (ط ٢)، الثقافة الإسلامية في الهند: ص:١٤١، الحياة بعد المماة ص:٦٠٥(ط ١)

(٩) حياة المحدث ...... ص: ٧٢ – ٧٣.

علم الحديث؟

ولكن سايرت في جنب هذه المزية مأساة كبرى للولاية وهي أنها قلما حفظت بتاريخ رجالها الذين حازوا مكانا مرموقا بل إنها ـ في تعبير أصح ـ أنستهم ولم تقدرهم حق التقدير، فيقول السيد سليمان الندوي بشعور من القلق في مقال ـ وهو على حق فيما كتب ـ إن أرض البيهار قد أنجبت رجالا مصقعين في ميادين العلوم كلها في كل عصر ولكنها مع خصبة الأرض قد خنقت أعناقهم ولم تحفظ من آثارهم إلا قليلا.

فمن العلماء المحدثين الذين نالوا شهرة عظيمة في العالم العربي والإسلامي المحدث السيد نذير حسين بن جواب علي المونكيري البيهاري ثم الدهلوي، واتفق علماء الدين على علو كعبه وجلالة قدره في الحديث.

وتلمذ له آلاف من العرب والعجم ومن جاءوا بعده فهم استفادوا من تلاميذه.

ولعب دورا هاما في القضاء على البدع والتقاليد والرسوم والعادات القبيحة، كان يذكر الناس في خطبه ويرشدهم إلى التوحيد والسنة، حتى أنه لما سافر إلى الحجاز سنة ١٣٠٠هـ، لم يمتنع من الدعوة والإرشاد رغم حساده وأعداءه الذين كانوا يؤامرون لقتله وفتكه.

كان رحمه الله مولعا بالبحث والتحقيق والنظر في كثير من الفنون، وزاهدا عابدا، متحليا بالأخلاق الفاضلة، يقول المحدث شمس الحق العظيم آبادي:

" وقد منح الله تبارك و تعالى من بحر فضله العميم هذا الشيخ العديم المثال ثلاثة أمور لا أعلم أنها في الزمان (١٣٠٤هـ) قد اجتمعت لغيره، الأول: الاتقاء وخشية الله تعالى والحلم والصبر والخلق والزهد والكرم والحياء، والثاني: سعة التبحر في علم التفسير والحديث والفقه والصرف والنحو على اختلاف أجناسها وأصنافها، والثالث: كثرة التلاميذ المدققين والنبلاء المحققين ذوي الفضائل الباهرة وأولى الكمالات الفاخرة... ليس في بلاد الهند بلد ولا قرية إلا بلغها فيضانه، وتلاميذه موجودة فيها.... وليس انحصار تلاميذه ببلاد الهند بل انتشرت تلاميذه في الآفاق من العرب والعجم." (١٠)

(١٠) شمس الحق الديانوي: غاية المقصود، ج١ ص:١١

وقد خلف رسائل حافلة و فتاوى كثيرة جمعت بعده بأمر المحدث شمس الحق العظيم آبادي في مجلدين، وكلاهما مطبوع ـ و كتابه " معيار الحق" أحسن كتاب ألف بالأردية في مسألة التقليد والاجتهاد. (١١)

ومن العلماء المحققين الذين لهم مكانة مرقومة بين علماء البلدان العربية والإسلامية الشيخ السيد سليمان الندوي صاحب كتاب "سيرة النبي ﷺ ".

ومن العلماء الكبار الداعية الكبير الشيخ محمد إبراهيم الآروي، وسافر للحج وحصل على إجازة الحديث بالحجاز من الشيخ أحمد بن زيني دحلان الشافعي (م ١٣٠٤ هـ) والشيخ محمد بن عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة. وقد تفرغ للتعليم والتربية والإرشاد والتوجيه في بلدته آره وبجهوده المتواصلة صار الناس متمسكين بالعقيدة السلفية، ونبذوا البدع والتقاليد الشائعة وكذلك بذل جهوده المشكورة في إحياء السنن الميتة، وهو أول من اعتنى بهذا الجانب في بلدته.

والعلامة الآروي كان عضوا بارزا لعدة مجالس وندوات إصلاحية وتعليمية في الهند، مثل "ندوة العلماء" (بلكناؤ) و "نظارة المعارف" (ببوفال) و "أنجمن إصلاح المسلمين" (ببتنا) وغيرها، ولم يزل يقاوم طول حياته الاستعمار الانجليزي، وأيد الخلافة العثمانية. وله مكاتبات ومراسلات مع كبار علماء الهند وخارجها، منهم سر سيد أحمد خان العليكرهي (م ١٨٩٨م) والمحدث شمس الحق وغيرهما.

ومن علماء ولاية بيهار ذوي المكانة الرفيعة والمقام السامي في العالم الإسلامي والعالم العربي العلامة المحدث الكبير المجاهد في سبيل الله عبد العزيز بن أحمد الله السلفي الرحيم آبادي، من كبار علماء الهند، ولد سنة ١٢٧٠هـ بقرية رحيم آباد (دربهنكه) من ولاية بيهار. كان خطيبا مصقعا، شاعرا باللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية، ومساهما في الحركات الدينية والسياسية والتعليمية في عصره، وكان رحمه الله عضوا بارزا في أعضاء حركة المجاهدين،

(١١) نفس المرجع: ص: ١٠، ١٧، عون المعبود: ج١ ص:٣ (ط١)، مقدمة تحفة الأحوذي:٢٧

وكان يقود في بيهار رجالها و يساعدهم معنويا و ماديا. ولم يزل يناضل طول حياته ضد الحكم الإنجليزي في الهند. ثم إنه أسس في بلدة "دربهنكه" سنة ١٣٣٦هـ مدرسة دينية تسمى الآن "دارالعلوم الأحمدية السلفية" وهي من أكبر المدارس العربية في ولاية بيهار. وله مصنفات ومؤلفات عديدة في موضوعات مختلفة.

وقد كان الأدباء والعلماء من الهند والعالم العربى متأثرين جدا بعلماء هذه المنطقة، كما يقول السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي عن السيد سليمان الندوي في كتابه "المسلمون في الهند": ومن كبار مؤلفي هذا العصر وكتابه العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي (م١٣٧٣هـ) الذي خلف مكتبة كبيرة من مؤلفاته في السيرة النبوية والشريعة الإسلامية والتاريخ والأدب، ومجموع ما طبع يبلغ نحو ستة آلاف صفحة غير مقالاته وشذراته التي يكتبها في مجلة "معارف" التي تعتبر أرقى مجلة علمية في الهند، وأجوبته و فتاواه العلمية، وهو يستحق أن يعد من كبار المؤلفين في الهند والمحققين الباحثين في الشرق". (١٢)

وكذلك يقول في موضوع آخر في نفس الكتاب عن العلامة مناظر أحسن الكيلاني: "ومن كبار المؤلفين أيضا الذين عرفوا بالاقتدار على التأليف و سيلان القلم و غزارة المادة و سعة المعلومات، العلامة مناظر أحسن الكيلانى (م ١٣٧٥هـ) صاحب " النبي الخاتم" و "تدوين الحديث" و "نظام الإسلام الاقتصاي" و "نظام التعليم والتربية" وغيرها، وقد خلف مكتبة عامرة من مؤلفاته". (١٣)

☆☆☆

(١٢) السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي: المسلمون في الهند، ص:٣٩، ط٣

(١٣) نفس المرجع: ص:٤٠

آداب إسلامية:

أدب الحديث في اللقاء ات العادية

الشيخ لطف الحق المرشدآبادى
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

هذه كلمة موجزة في أدب الحديث في اللقاء ات العادية في الإسلام، أريد أن أقدمها بين أيدي القاريء الكريم ليعرف ما هي آداب وسنن الحديث في اللقاء ات في الدين الإسلامي الحنيف؟ فأقول مستعينا بالله وحده.

بعض هذه الآداب:

١ – أن يتكلم بصوت مسموع ليس بالمرتفع ولا بالمنخفض، وبعبارة واضحة يفهمها الجميع، بعيدةعن التصنع والمغالاة، ففي الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "كان كلام رسول الله ﷺ فصلا يفهمه كل من سمعه". (١)

٢ – من أدب الحديث النظر إلى المحدث وعدم مقاطعته أثناء الحديث وعدم تسفيه رأيه أو تكذيبه وإذا اضطر لتصحيح خبر أو فكرة فليكن بالحكمة وبصيغة المودة والتفاهم.

٣ – أن يعطي لكل مجلس حقه فلا يهزل في موقف الجد ولا يضحك في مجلس حُزن مراعاة لشعور المحزونين، ولا يتحدث عن العلاقة بين الجنسين بوجود نساء أو بوجود أقارب زوجته، وهكذا فلكل مقام مقال، ففي الحديث عن علي رضي الله عنه قال: "كنت رجلا مذّاء فاستحييت أن أسأل رسول الله لمكانة ابنته مني فأمرت المقداد فسأله". (٢)

٤ – أن لا يكثر الكلام وأن لا يتكلم فيما لا يعنيه – أي فيما لا يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه – ففي الحديث: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ". (٣) قال إبراهيم بن

(١) رواه أبوداود. (٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد وابن ماجه.

الأدهم: (يهلك الناس خلتان: فضول المال وفضول الكلام)، وفي الحديث: " من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ".

٥ – أن لا يكثر الكلام عن نفسه ومآثره ولو كان صادقا، قيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ قال: ثناء المرء على نفسه، يقول الله تعالى: " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ".

٦ – أن يكون الحديث في خير: كبر الوالدين، أو صلة رحم، أو إصلاح بين الناس، ففي الحديث: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ". (٢) قال تعالى: "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ". (٣)

وقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى، واتقوا الله الذي إليه تحشرون ". (٤)

٧ – أن لا ينقل خبرا قبل التأكد منه، وأن لا يفشي سرا لم يأذن صاحبه بنشره، ففي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع ". (٥) وفي الآية: " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " . (٦)

٨ – أن يبتعد عن مضغ العلوك وتفتفة البزر أثناء التحدث مع الناس لما في ذلك من استهتار بمحدثه وخروج عن الذوق السليم.

٩ – عدم الإكثار من الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب.

١٠ – يفضل الابتعاد عن المجالس التي يكثر فيها الهرج والمرج والغيبة والنميمة والاستهزاء بالدين وأهله إلا إذا استطاع منع ذلك الفساد لقوله تعالى: "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره. (٧)

١١ – وأن لا يضحك بكلامه الناس فلا يحدث حديثا يضحك به الناس بغير مقصود،

---

(١) النجم: ٣٢.　　(٢) متفق عليه.

(٣) النساء: ١١٤.　　(٤) المجادلة: ٩.

(٥) رواه مسلم.　　(٦) ق: ١٨.

(٧) الأنعام: ٦٨.

ففي الحديث عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: " ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له . (١)

١٢ – وأن يملك اللسان، ويمسكه عن الكلام الفاحش والكلمة النابية، فعن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: ما النجاة ؟ فقال: املك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك. (٢)

١٣ – من أدب الإسلام أن يصدق الحديث، ولا يتحرى الكذب، وأن يوفي الوعد، ويؤدي الأمانة، ويحفظ الفروج، ويغض الأبصار، ويكف الأيدي، فعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: " اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم. (٣)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا." (٤)

١٤ – وليس من أدب الإسلام أن يمدح رجل رجلا أمامه، فعن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب. (٥)

☆☆☆

(١) رواه أحمد والترمذي، وأبو داود والدارمي.

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

الأدب العربي:

تطور السيرة الذاتية فى الأدب العربي الحديث

محمد يوسف
جامعة جواهر لال نهرو نيو دهلي

إن السيرة الذاتية قد بدأت تحقق لنفسها مكانا متميزا ووجودا كميا ونوعيا بارزا في المجتمع والثقافة العربيين الحديثين بحيث صار بالإمكان اعتبار هذا النوع من الكتابة جنسا أدبيا مستقلا و مشاركا في نسيج الثقافة العربية الحديثة، و أحد حلقات السلسلة الثقافية العربية الجديدة التي تجري عملية إعادة تكوينها منذ أواسط القرن التاسع عشر، وإن الترجمة الشخصية تعتبر في الأدب العربي الحديث إحدى الجوانب الهامة النابضة بالحياة السردية المشعة للذات المحورية، وإحدي التجارب الحية المضيئة في حياة كاتب السيرة الشخصية، فظهرت طائفة من الأدباء الأفذاذ حملت على كاهلها تطوير هذا الفن، فأول سيرة ذاتية عربية ظهرت في العصر الحديث هي كتاب "الساق على الساق فيما هو الفارياق" لأحمد فارس الشدياق، و قد كتب الدكتور طه حسين هو الآخر سيرته الذاتية بعنوان " الأيام" التي هي إحدى السير الفنية الجميلة التي كثر عنها الجدل و دونت حولها الدراسات والبحوث النقدية المتخصصة. ولعل أبرز هذه الدراسات القيمة، تلك الدراسة التي قدمها الدكتور عبدالمحسن طه بدر في كتابه " تطور الرواية الحديثة في مصر" والدراسات الأخرى، حيث طرح كل منها إشكالية عن كتاب " الأيام" ولعل هذه الإشكالية تنطبق هي الأخرى على كثير من السير الذاتية التي ظهرت في الأدب العربي الحديث ومنها "أنا " و"حياة قلم" لعباس محمود العقاد كشف فيهما عن مكنونات ودخائل نفسها، فإن كتابيه "أنا" و"حياة قلم" هما أجود من أكثر كتبه، و سيرة ذاتية لأحمد أمين الذي و ضعها في كتابه "حياتي" ، بعد ذلك كتب تلميذه إحسان عباس ترجمته الذاتية باسم "غربة الراعي" وهي من أحدث ما

كتبه أدباء عرب في هذا الفن.(١)

و قد ألف توفيق الحكيم سيرته الذاتية بعنوان "سجن العمر" و "زهرة العمر" وله كتب أخرى تتضمن أحوالها الذاتية و في طليعتها "عودة الروح" و "عصفور من الشرق" و غيرها عديد من المؤلفات ولكن أجودها و أروعها كتابان هما "سجن العمر" و "زهرة العمر" اللذان روى فيهما الحكيم أحواله الذاتية، وكتب سلامة موسى أيضا عن سيرته الذاتية باسم "تربية سلامة موسى" و كذلك سيرة الشباب التي كتبها الدكتور محمد حسين هيكل في "مذكرات الشباب " و " سيرة نجيب محفوظ في" الثلاثية " و "أصداء السيرة الذاتية" و قد كتب سيد قطب أحواله الشخصية بعنوان "طفل من القرية" ولصلاح عبدالصبور أحواله الذاتية في كتاب عنوانه "حياتي في الشعر "وكتب لويس عوض ترجمته الذاتية بعنوان "أوراق العمر" و يمكن لي وصف كتاب ميخائيل نعيمة المعنون بـ "سبعون " بأنه أثر نفيس في هذا الفن الكتابي الصاعد، تحدث فيه نعيمة عن رحلته في هذه الحياة و هي رحلة طويلة ممتعة يتابع فيها القارئ نعيمة على امتداد سبعين سنة كاملة تبدأ من عام ١٨٨٩م و تتوقف عند عام ١٩٥٩م. (٢)

و كذلك وضع سهيل إدريس سيرته الذاتية بعنوان "ذكريات الأدب والحب" قد سبقت سيرة سهيل إدريس شهرة أدبية واسعة، و توفيق يوسف عواد هو الآخر دون أحوال حياته باسم "حصاد العمر" و كذلك وضع عبدالرحمن بدوي سيرته الشخصية في "سيرة حياتي" وكتب إدوارد سعيد باسم "خارج المكان" وكذلك صدرت سيرة هشام شرابي بعنوان "الجمر و الرماد" وكتب إبراهيم المازني سيرته الذاتية باسم "قصة حياة" واشتهر حنا مينه بسيرته الذاتية الثلاثية المعنونة بـ "بقايا صور "التي صدرت سنة ١٩٧٥م ، و "المستنقع" سنة

---

(١) In my childhood: A study of Arabic Autobiography, By Tetz Rooke, page: 191-215

(٢) The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture, By, Thomas philipp, Page: 589-595

١٩٧٧م، و "القطاف" جاء ت سنة ١٩٨٦م، و غيرها من الأعمال السردية الذاتية التي سطرها الأدباء والشعراء والمفكرون عن حياتهم وتأثيرها المباشر على أعمالهم و إبداعاتهم وأفكارهم وأخيلتهم، انطلاقا من أن السيرة الذاتية هي نوع من التاريخ الفردي الذي يتصل بالتاريخ العام في منطقة الالتماس التي تتجاوب فيها ألوان الكتابة مع مما رسات الواقع المعيش والتي تعتمد على التأويل الذاتي في آلياته الخاصة.

و إن أدب السيرة الذاتية في الثقافة العربية الجديدة يعبر عن بعد آخر من أبعاد التأثر بمفاهيم الأدب الأوربي العالمي الحديث و أجناسه الأدبية المختلفة فهو خطوة في سبيل المساهمة في السلسلة الأدبية العالمية، و يلاحظ في العقود الأخيرة ازدياد الانشغال بكتابة السيرة الذاتية من قبل قطاعات واسعة و مختلفة من الكتاب والمثقفين حتى أن مجلة "الهلال" المصرية خصصت خلال تسعينات القرن العشرين بابا شهريا ثابتا بعنوان "سنوات التكوين" ثم جمعت هذه المواد في كتاب مستقل بعنوان "التكوين: حياة المفكرين والأدباء والفنانين بأقلامهم". (١)

بفضل هذا الانشغال والنمو والشغف بكتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث قد تنوعت الكتابات في السيرة الذاتية و تنوعت أساليب السرد، مثلما تعددت التجارب والمراحل الزمنية التي تجري فيها أحداث هذه السير.

و إن السيرة الذاتية العربية كتبت في أكثر الأحيان بضمير المتكلم واتبع رشاد رشدي هذا الأسلوب في كتابيه "رحلتي مع الحياة" و "الذاكرة الموشومة " و غيرها و بعض الأحيان كتبت بضمير الغائب كما فعل طه حسين في كتابه "الأيام" و كما فعل سيد قطب في سيرته الذاتية "طفل من القرية".

و إن السيرة الذاتية ليست ذاتية إلى هذه الدرجة التي قد يتخيلها بعضهم، و بمعنى آخر ليست السيرة الذاتية شخصية فقط، يقول جورج جاسدوف: "إن السيرة الذاتية هي المرآة التي يلتقي فيها الفرد مع ذاته". في الحقيقة إنها تحويل مرآة ذاتية تنعكس فيها أحوال

(١) كتاب الهلال 566، فبراير 1998م.

كاتب السيرة الذاتية و علاقته و تعامله مع الآخرين ربما من هنا تأتي تلك المتعة الخاصة في قراء ة أدب السيرة الذاتية أنها تحويل مرآة تتجلى فيها أحوال الكاتب مع أحوال الآخرين. كتب إبراهيم عبدالقادر المازني في "قصة حياة" وقال فيها: "ليست هذه قصة حياتي و إن كان فيها كثير من حوادثها، والأولى أن تعد قصة حياة"، و يعني ذلك هو يكشف عن ذاته مرآة تتبلور فيها ذوات الآخرين فهو يقول: "أصبحت أعتقد أني أستطيع أن أعرف الناس بنفوسهم إذا وسعني أن أكشف لهم عن عيونهم صورة صادقة ـ لامزورة ولا مموهة ـ من هذا الإنسان الذي هو أنا، والذي هو كل امرئ غيري ". (١) وأن من الحقيقة أن هذه تجربة فريدة في الحياة الشخصية هي ذات قيمة للآخرين أيضا. (٢) ويحيى حقي يقول في "كناسة الدكان" التي هي سيرته الذاتية: "مطلوب مني أن أكتب هنا سيرتي الذاتية، التحدث عن النفس، ياله من لذة ساحرة تواضعها زائف، ياله من ملل فظيع يستحب معه الانتحار ". وكذلك يتحدث هشام شرابي عن ذاته في "الجمر والرماد" و "صور الماضي" و " مفتاح السيرة" مقولة توماس مان "لايعيش الفرد حياته الشخصية فحسب، بل يعيش أيضا حياة عصره و حياة جيله". (٣)

و ملخص القول أن السيرة الذاتية هي فن جميل يرتاح القارئ إلى مواصلة قراء ته تكونه يجد فيه حكاية حاله حينا وحينا آخر يجد فيه الأسوة والقدوة والموعظة والعبرة إلى ما يظفر به من متعة، لأن السيرة الذاتية تتضمن تجارب حياة الكاتب و تأملاته الشخصية و تعاملاته مع الآخرين.

سير النساء الذاتية في الأدب العربي الحديث:

ظهرت السير الذاتية النسائية في العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر، فقد

(١) "أدب السيرة الذاتية" للأستاذ عبدالعزيز شرف، ص:79

(٢) The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture, By, Thomas Philip, Page:577

(٣) مجلة "اتجاه" العدد 2000/17، عدد خاص عن شرابي، تصدر من اتحاد جمعيات أهلية غربية تسارع ليفونتين، حيفا.

شهد العالم العربي أواخر القرن التاسع عشر تقدما حضاريا أدى إلى تطور فن السيرة الذاتية النسائية تطورا ملحوظا، وهذا الفن هو ظاهرة أدبية ارتبطت بنشوء المدن الكبرى و المتغيرات الحضارية التي ساهمت بشكل فعال في تطوره. و نشأت السير الذاتية النسائية بناء على عدة عوامل تساهمت في ظهورها وانتشارها، ومن أبرزها وعي المرأة بأهمية حضورها في الخطاب الأدبي الحديث فيمقابل هيمنة النظام الذي يعلى إنجاز الرجل ويهمش إنجاز المرأة، فضلا عن العوامل الاجتماعية والسياسية التي ساعدت على بروز هذا الفن وازدياده.

ويعتبر مطلع الثمانينات بداية مرحلة النضج الفني للسير النسائية العربية، إذ بدأ ظهور نماذج من السير النسائية تنطبق عليها إلى حد كبير شروط السيرة الذاتية كفن أدبي حيث ظهرت بعض الأعمال التي تتناول جوانب متعددة وشبه كاملة عن كاتباتها كالسيدة فدوى طوقان في سيرتها الذاتية "رحلة جبلية رحلة صعبة" التي صدرت سنة ١٩٨٥م، وفيها تروي الشاعرة تفاصيل طفولتها و شبابها و نضوج تجربتها الشعرية، فنرى فيسيرتها الجرأة والتحدي والكشف عن الذات دون خوف أو خجل و بصورة واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد، وهذه المزايا تفتقر إليها الكتابات العربية و خصوصا كتابات المرأة، فقد وجدت فدوى طوقان في سيرتها الذاتية فضاء أدبيا ملائما للتعبير عن الهوية الشخصية، فهي تسعى إلى بناء كيان مستقبل مثقل بالآمال والطموحات، تزول أمامه كل مظاهر الدونية والاضطهاد والقمع، ففي هذه السيرة نستطيع أن نرى الكثير من المظاهر التي وضحت عنها الكاتبة بصورة جلية و بصدق وشجاعة، منها تعودها على الانكفاء عن النفس والغياب في داخل الذات وعاطفتها، والانعزال حتى عن أقرب الناس، فهي تقول في سيرتها: "رحت أتحصن بالعزلة، كنت مع العائلة ولكن حضوري كان في الواقع غيابا إلى أبعد حدود الغيابة، كان لي عالمي الخاص الذي لا يمكنهم اقتحامه، ولقد ظل هذا العالم موحدا أمامهم ولم أسمح لأحد باكتشافه". (١) ونرى في حديثها عن الأدب أنها توصل للقارئ شعورها تجاه

(١) "رحلة جبلية رحلة صعبة" لفدوى طوقان، ص:58

ذلك العالم الذي أضفى على حياتها معنى و قيمة حقيقية و ساهم في بنائها من جديد و أتاح لها فرصة ظهور إمكانياتها وقدر اتها الأدبية، ونلحظ ذلك التحدي الكامن في أعماقها والراسخ في ذهنها في سبيل تحقيق الذات والوصول إلى المبتغى الذي سعت إليه الكاتبة و بناء شخصية مستقلة قادرة على العطاء والدخول في مختلف ميادين الحياة بحرية ولم يكن على حساب الآخرين فقد كانت تراعي مشاعرهم وأحاسيسهم و تقدر عقليتهم التي تتعارض مع الكثير من ميولها والتمرد الكامن في شخصيتها، إذ هي تقول في كتابها: "كنت أحيانا أفكر بالهرب بحثا عن الخلاص من العذاب والألم غير أنه كانت لدى رقة قلب بالغة تجاه شيوخة أبي بالرغم من كل شيء فما ملكت يوما القلب القاسي الذي لا يبالي بآلام الآخرين في سبيل نزعاته و مطامحه الكبيرة".(١)

تطورت السيرة الذاتية النسائية و ظهرت كتب عديدة بعد فدوى طوقان و منها " ما كتبته لطيفة الزيات عن سيرتها الذاتية في كتابين " حملة تفتيش ـ أوراق شخصية" و في "صاحب البيت".

وكذلك كتبت بنت الشاطئ سيرتها بعنوان "على الجسر" فهي تذكر أحوال حياتها بأسلوب بليغ وسهل، وهكذا كتبت نوال السعداوي سيرتها الذاتية باسم "أوراقي..حياتي " فالكاتبة تقدم أحوال نفسها و ذاكرتها بطريق متميز، و أسلوب عميق، و ذكرنا هؤلآء الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، هناك كتب كثيرة مهمة من سير النساء اللآتي كتبن حياتهن بأسلوب رائع و جميل، و ملخص القول: إن السيرة الذاتية سواء كانت للرجال أم للنساء قد باتت الآن جنسا أدبيا معترفا به، حاضرا و جديرا بالقراء ة في السلسلة الثقافية العربية، وقد تحققت في سياق هذا الجنس الأدبي أعمال هامة.



(١) المصدر السابق ص: 129

العالم الإسلامي

جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز العالمية

رعى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية، رئيس الهيئة العليا لجائزة نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبويةوالدراسات الإسلامية المعاصرة، فعاليات الحفل الختامي للجائزة في دورتها الرابعة، وجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز التقديرية لخدمة السنة النبوية وعلومها في دورتها الثانية بمشاركة أكثر من ١٥٠ شخصية عالمية، وذلك بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات في فندق الإنتركونتننتال بالرياض.

بدىء الحفل الخطابي المعد لهذه المناسبة بآي من القرآن الكريم ثم ألقيت كلمة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز، نائب رئيس الهيئة العليا للجائزة، المشرف العام عليها، ألقاها نيابة عن سموه صاحب السمو الملكي الأميرنواف بن نايف بن عبد العزيز، رحب فيها بسمو النائب الثاني والحضور، وحمد في مستهلها الله العلي القدير الذي وفق مؤسس هذه البلاد المباركة الملك عبد العزيز رحمه الله في أن جعل منهج ونهج هذه الدولة مرتكزا على أساس الاحتكام إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتطبيق تعاليمهما السمحة في جميع شؤونها.

وقال سموه إن المكانة العظيمة للسنة النبوية المطهرة في التشريع الإسلامي تستدعي من الجميع بذل المزيد من الاهتمام بها باعتبار أنها الأصل الثاني بعد القرآن الكريم والتطبيق العملي لما جاء كما هي شارحة لقواعده وأحكامه موضحة لمعانيه وألفاظه، ولذا فإن كمال الدين وتمام الشريعة يكون بأخذ السنة النبوية جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم، وهو ما يدعو إلى تعميق البحث والدراسة في السنة النبوية المطهرة وتشجيع كل جهد يصب في هذا الاتجاه، ويبعث على روح التنافس العلمي بين الباحثين في العالم، وربط هذا الجهد بالواقع العلمي للأمة لكي يسهم في تقديم الحلول المناسبة لمشكلات المجتمع الإنساني، وتبيان سماحة الدين وصلاحه لكل زمان ومكان، وإسهامه في الرقي الحضاري للبشرية جمعاء، وهذه هي الغاية السامية التي تسعى إليها هذه الجائزة.

وسأل سمو الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز الله أن يثيب خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، على رعايتهم ودعمهم المتواصل لهذه الجائزة، منذ أن كانت مجرد فكرة إلى أن أصبحت واقعا ملموسا شاكرا لضيوف الجائزة حضورهم والقائمين عليها جهودهم.

عقب ذلك شاهد الجميع فيلما عن تاريخ وفروع وإسهامات الجائزة.

عقب ذلك أعلنت أسماء الفائزين حيث تشرف الدكتور عبد القادر بن عبد الكريم جوندل من باكستان الفائز بفرع الجائزة في الدراسات الإسلامية المعاصرة في الموضوع الأول "العمل الإغاثي في الإسلام .. دراسة تأصيلية معاصرة" باستلام جائزته من يد سمو النائب الثاني وهي مبلغ ٥٠٠ ألف ريال وشهادة استحقاق وميدالية الجائزة.

كما تشرف الدكتور محمد بن سعود البشر الفائز في فرع الدراسات الإسلامية المعاصرة في الموضوع الثاني "حرية الرأي في الإسلام" باستلام جائزته من يد سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وهي مبلغ ٥٠٠ ألف ريال وشهادة استحقاق وميدالية الجائزة.

فيما أعلن فوز الشيخ أحمد بن محمد عبد القادر " رحمه الله " بالجائزة التقديرية حيث تسلم ابن الفائز سعود بن أحمد محمد الجائزة من يد سموه، وهي مبلغ ٢٠٠ ألف ريال وشهادة استحقاق وميدالية الجائزة.

فيما تم حجب الجائزة في فرع السنة النبوية لعدم ارتقاء البحوث المقدمة لمستوى الجائزة.

وقد ألقى الفائزون كلمات بهذه المناسبة حيث عبر الفائز الدكتور عبد القادر جوندل عن سعادته وشكره لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز، وقدم شكره للعلماء والباحثين، وقال إنه مما لا شك فيه إن هذه الجائزة تحمل الكثير من المعاني السامية، منها الدعم المادي ولكن الأهم والأكبر من هذا هو الدعم المعنوي الذي نلمسه دائما من سموه الكريم، فيما أشار الدكتور محمد البشر إلى أن موضوع حرية الرأي من الموضوعات التي استرعت اهتمام الباحثين، وشغلت المتخصصين بسبب تعدد منافذ الاتصال وتنوع وكثرة وسائله وعرض بعض الحلول لمواجهة هذه الحقيقة والتعامل معها ومعالجتها وتقنينها وضبط ممارستها، كما قدم ابن الفائز أحمد شاكر، شكره لسمو راعي الجائزة ثم ذكر نبذة عن الحياة العلمية والعملية للشيخ أحمد شاكر. **(العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد: ٢٠٩٧، ١١/ محرم ١٤٣١ هـ)**

☆☆☆

العالم الإسلامي

الأمير نايف أول شخصية عالمية تحصل على جائزة الأمم المتحدة "المانح المتميز"

منحت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأنوروا) صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية المشرف العام على حملة خادم الحرمين الشريفين لإغاثة الشعب الفلسطيني بغزة جائزة المانح المتميز للأنوروا كأول شخصية عالمية تحصل على هذه الجائزة وذلك تقديرا من الأنوروا لجهود سموه وإسهاماته الكبيرة في العمل الإنساني من خلال ما تقدمه اللجان والحملات الإغاثية السعودية بإشراف سموه بشكل عام وما تقدمه حملة خادم الحرمين الشريفين لإغاثة الشعب الفلسطيني في غزة، واللجنة السعودية لإغاثة الشعب الفلسطيني بشكل خاص من برامج إغاثية ومشروعات إنسانية، وتعاون مشترك مع المنظمات الدولية في تخفيف معاناة الشعب الفلسطيني، وتغطية العديد من برامج ونشاطات الأنوروا لتقوم بدورها الإنساني على أكمل وجه تجاه تلبية حاجة (٧٠ في المائة) من المتضررين من أبناء الشعب الفلسطيني في الخدمات الإغاثية، والتعليمية، والإيوائية، والصحية والاجتماعية.

وستقوم بتقديم الجائزة لسموه الكريم المفوض العام لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأنوروا) السيدة / كارين أبوزيد بمكتب سموه بالرياض.

صرح بذلك معاليمستشار سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية رئيس حملة خادم الحرمين الشريفين لإغاثة الشعب الفلسطيني بغزة الدكتور / ساعد العرابي الحارثي موضحا أن هذه الجائزة جاء ت تقديرا لجهود المملكة العربية السعودية الإنسانية برعاية ودعم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام حفظهما الله وتتويجا لعطاء ات سمو النائب الثاني السخية وبذله وقته وجهده للإشراف والمتابعة للأعمال الإنسانية النبيلة التي خففت من معاناة المتضررين ليس في فلسطين فحسب بل في معظم المناطق المتضررة في العالم.

(العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد: ٢٠٩٦، ٤/محرم ١٤٣١هـ)

☆☆☆

ركن الطلاب

الاستهزاء والسخرية

عبيد الله الباقي عبد السلام
السنة الأولى للفضيلة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد قال الله تبارك وتعالى فيكتابه المجيد: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾. (١)

إن الإسلام ردّ الاستهزاء ردا واضحا، وأنكر على السخرية إنكارا شديدا، ولكن الأسف! إن هذه الصفة الكريهة قد استغلبت على كثير منا – وهم بما عليه فرحون – فلابد لنا من النظر إلى هذا الجانب المهم في ضوء الكتب والسنة، والنصوص الشرعية حافلة بالأدلة التي تحث على الابتعاد عن الاستهزاء، وعلى المنع من السخرية.

منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾. (٢)

فنهى الله تعالى عباده عن السخرية من الناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، وهذا حرام، لأنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له. (٣)

فلماذا لا نتفكر في هذه الآية الكريمة وأمثالها، إنما هذه شيمة أهل الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم، لم يقومهم أمر من الله ولا نهي، فكان الرجل يسخر

---

(١) الحجرات: ١١. (٢) الحجرات: ١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ج ٥ ص ٦٥٣.

ويلمز وينبز بالألقاب. (٤)

وجاء في الحديث النبوي الشريف: "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل مسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ". (٥)

ومنها قوله تعالى: ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾. (٦)

ومما لا ريب فيه أن هذه الخصلة من خصال الكفار والمشركين الذين كانوا يسخرون من أتباع النبي ﷺ كبلال، وصهيب، وابن مسعود وغيرهم (٧)، لكونهم فقراء لا حظ لهم كحظ رؤساء الكفر وأساطين الضلال. (٨) ولكن الكافرين الساخرين لا يعلمون أنهم يخلدون في الدركات في أسفل السافلين، والمؤمنون هم الذين يستقرون في أعلى عليين. (٩) ولهذا قال الله جل شأنه: ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (١٠) وقال تعالى: ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾. (١١)

فإن تشوفت نفسك – أخي في الدين – إلى هذه الفوقية، ونيل هذه الدرجة العلية (فاترك هذه الفعلة القبيحة) لتسلم من كل آفة وبلية، واقتد فيذلك بخير البرية. (١٢)

ومنها قوله سبحانه: ﴿ولقد استهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن، قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾. (١٣)

فالله تبارك وتعالى يوضح في هذه الآية الكريمة عاقبة الأمم السابقة التي كانت مستغرقة في الاستهزاء برسلهم "فهذه ديارهم خربة، وجنازتهم مغبرة، وأراضيهم مفكهرة". (١٤)

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج ٣ ص ٢١٤.
(٥) البخاري: ج ٣ ص ١٦٨، ج ٩ ص ٢٨، مسلم: ح (٢٥٨)
(٦) البقرة: ٢١٢. (٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١٦٣.
(٨) فتح القدير: ج ١ ص ٢٧٥. (٩) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٠٤.
(١٠) البقرة: ٢١٢. (١١) البقرة: ٢١٢.
(١٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٦٣.
(١٣) الانعام: ١٠ – ١١. (١٤) فتح القدير ج ٢ ص ١٣٣.

فكيف نحب أن نشوه وجوهنا بهذه الصفة القبيحة ؟ وكيف نكدر صدورنا بهذه الجريمة الخطيرة ؟

ومنها قوله عز وجل: ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا، أهذا الذي بعث الله رسولا، إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا﴾. (١٥)

يظهر لنا من هاتين الآيتين أن الاستهزاء من علامات الكفار، ومع الأسف ! إن بعضا منا غارقون في هذه الفعلة الذميمة، أفلا يتفكرون ؟

ومنها قوله تبارك وتعالى: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون، وما أرسلوا عليهم حافظين﴾. (١٦)

فهؤلاء لا يلقون للأمر بالا، ولكن هذا العمل جرّهم الى أن سمّاهم الله كافرين، وهم في أودية الظنون يهيمون !!

ومنها قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾. (١٧)

وهاتان الآيتان تدلان على أن المستهزيء بالله كافر، والمستهزيء برسوله كافر، والمستهزيء بدين محمد ﷺ كافر، ألا وهو مرتد عن الإسلام، وخارج عن ملة خير الأنام، سواء كان مازحا أم هازلا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾. (١٨)

وترشدنا هذه الآية الكريمة إلى أن الاستهزاء أمر خطير، ولذلك تحذر المسلمين من

---

(١٥) الفرقان: ٤١ – ٤٢. (١٦) المطففين: ٢٩ – ٣٣.

(١٧) التوبة: ٦٥ – ٦٦. (١٨) النساء: ١٤٠.

الجلوس مع المستهزئين.

فيا للأسف والأسى ! إن كثيرا من المتمولين والمتفوقين لا ينظرون إلى المصلحين المرشدين، وكذلك العاجزين البائسين المنكوبين إلا بنظر الاستهزاء والسخرية، ويتكلمون معهم بكلام غير مناسب، وربما تأخذ سخرياتهم أشكالا شتى. فليقبونهم بألقاب سيئة لا تطاق، ويزعمون أنهم هم الذين أسعد حالا، وأهنأ بالا، وأكثر مالا، ولكنهم بذكر الرحمن كافرون: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾. (١٩)

فليعرفوا حق المعرفة أن السخرية من المصلحين المرشدين والقائمين بأمر الله، كفر وردة، لأنهم لا يقصدون منها إلا الاستهزاء بأوامر الله التي يقومون بها، ولا يقع منهم هذا الفعل القبيح الا للاحتقار والاستخفاف، فوالله! ما هو إلا ازدراء بأمر الله عزوجل وأمر رسوله ﷺ، وحقا لا يسخرون من الصم والبكم والعمي إلا أنهم يسخرون من خالقهم، لأن الله هو الذي جعلهم صما، وبكما وعميا، فإلى أين يذهبون ؟

وليعلموا يقينا أن الله تبارك وتعالى قد جعل السخرية من المؤمنين سببا لدخول النار، كما قال تعالى: ﴿قال اخسؤا فيها ولا تكلمون، إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون﴾. (٢٠)

أخي في الدين ! فلنحذر الاستهزاء بمن هو أقل منا فضلا، وأضيق منا يدا، وكذلك نحذر السخرية ممن هو أقل منا مالا، وأسوأ منا حالا، فالله تعالى مقلب الأحوال ومصرف القلوب، وعسى أن يأتيهم زمان خير مما نحن فيه من السعة والثروة،فلا نتعجب منه لأن النور يأتي من سواد الحلك، والبدر لايدرج إلامن مهد الظلام ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾. (٢١)

فعلينا أن نمد إلى الفقراء والأشقياء والبؤساء والمساكين والمنكوبين أيدي البر والاحسان، إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

☆☆☆

---

(١٩) الحجرات: ١١. (٢٠) المؤمنون: ١٠٨ – ١١٠.

(٢١) آل عمران: ١٤٠.

المجلة تهدف إلى

- ☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.
- ☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- ☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- ☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- ☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- ☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عــدد صفحــات الجــزء: ٦٠